

كتب قداسة البابا شنودة الثالث

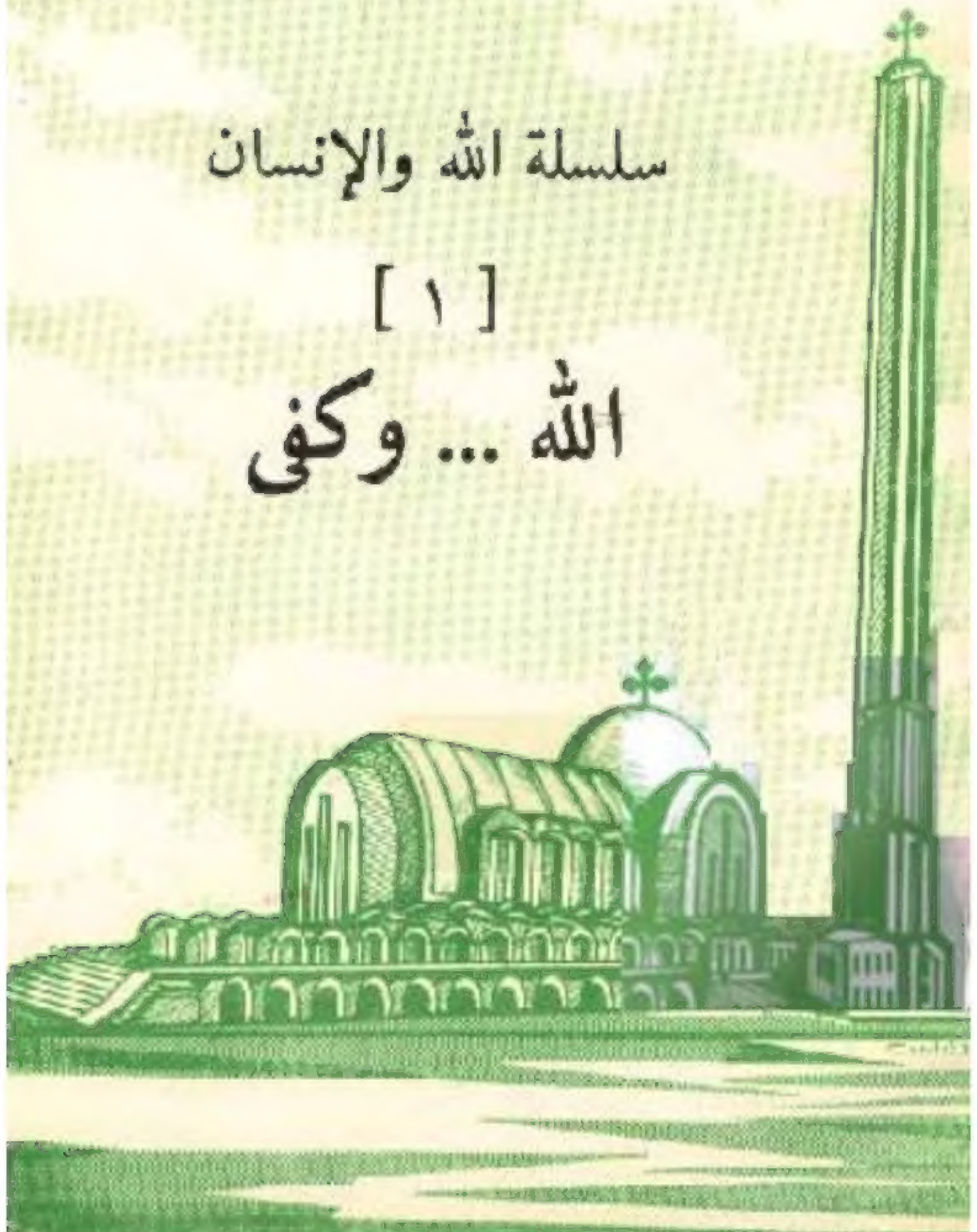


www.st-mgalx.com

سلسلة الله والإنسان

[١]

الله ... وكفى



البابا شنوده الثالث

سلسلة الله والإنسان

[١]

الله ... وكفى

GOD & NOTHING ELSE
BY H.H. POPE SHENOUDA III

1st print
January 1982

الطبعة الأولى
يناير ١٩٨٢



عمارة عالم البحر والصيد
البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطرس ورسول الكرازة المرقسية

مقدمة

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

هذا الكتاب الذى بين يديك ، هو ثمرة خمس محاضرات ألقى في
الكاتدرائية الكبرى بدير الأنبا رويس ، وهى :

- ١ - معك لا أريد شيئاً من العالم فى ١٤/١٠/١٩٧٧
- ٢ - مركز الله فى حياتك فى ٢١/١٢/١٩٧٩
- ٣ - الإكتفاء بالله فى ١٤/٣/١٩٨١
- ٤ - أنت ... والله فى ٢٧/٣/١٩٨١
- ٥ - الله ... هدفك الوحيد فى ٧/٨/١٩٨١

وقد تم دمجها معاً ، لتقدم إليك فى هذا الكتاب ، الذى هو حلقة من
كتاب كبير باسم [الله والإنسان] . نرجو أن يوفقنا الرب فى نشر باقيه
بصلواتكم ،،،

شنوده الثالث

فهرست

صفحة

۷	ما هي علاقتك بالله
۳۱	اصيبي هو الرب
۴۵	معك لا أريد شيئاً على الأرض
۶۳	قط الضعف والبدائل
۷۴	لتدرج

[۱]

ما هي

علاقتك بالله ؟

أود أن أحدثكم عن موضوع حيوى ، هو مركز الله فى حياة كل منا ...
ل توجد علاقة بيننا وبين الله ؟ وما طبيعة هذه العلاقة ؟ وما عمقها ،
أ مداها ؟ وهل هى علاقة رسمية ؟ أم تدخل فيها العاطفة والحب ؟ وما
كز علاقتنا بالله ، إذا ما قورنت بباقي علاقاتنا الأخرى ؟

وينبغى أولاً أن نبين أهمية علاقتنا بالله ...

هناك ملايين من الناس ، فى كافة أنحاء الأرض ، قد لا يهتمك أن
كون بينك وبين أحد منهم علاقة خاصة . أما الله فهو الكائن الوحيد
ى لا بد أن تكون هناك علاقة بينك وبينه . وهذه العلاقة ميزات تنفرد
...

فعلاقتك بالله ، هى العلاقة الوحيدة الثابتة والدائمة .

كل من تقابله من البشر ، ليست لك به علاقة دائمة . فما أسهل أن
ترق عنه - على الأرض - فى وقت ما ، ويكون لك طريق فى الحياة غير
ريقه ، وتشعر أنها مجرد علاقة عابرة . كذلك فإن الناس الذين تختلط
م ، غالباً ما تكون علاقتك بهم محددة فى مجال معين لا تتعداه ، قد تنتهى
تهائه . أما الله فعلاقتك به شاملة ، ودائمة . وهى ليست قاصرة على
اتك الأرضية ...

علاقتك بالله ، تشمل أبديتك أيضاً ، في الحياة الأخرى .

إنها علاقة تبدأ هنا ، وتستمر عبر الخلود . فإلى جوار أن الله هو الذي خلقك وأوجدك ويرعاك ، فإن في يده أيضاً تحديد مصيرك في الأبدية وعلاقتك به هناك . ولا شك أن هذا يختلف طبعاً عن كل علاقاتك بالبشر وبقايا الكائنات الأخرى . حتى البشر أو الملائكة الذين ستكون لك علاقة بهم في الأبدية ، فعلاقتك بهم هي أيضاً داخلية في صميم علاقتك بالله .

لذلك إفحص علاقتك بالله ، واعرف حقيقتها ... عملياً ...

هنا ، ونضع أمامك بعض أسئلة تفصيلية :

١ - هل عرفت الله ؟ أم لم تعرفه بعد ؟ وإن كنت تظن أنك تعرفه ، فما طبيعة هذه المعرفة وما عمقها ؟ وماذا يكون الله بالنسبة إليك ؟
٢ - هل الله له وجود واضح في حياتك ؟ وما نوع العلاقة التي تربطك بالله ؟

٣ - هل له الأولوية في كل اهتماماتك ومشغولياتك ومحببتك ؟
٤ - هل الله ليس فقط هو الأول في حياتك ، إنما هو الكل ؟ أم هل يوجد شيء آخر في حياتك إلى جوار الله له أهمية . ما هو ؟ وهل أنت مجاهد لتخلص من كل ما ينافس الله في قلبك ، ليبقى الله وحده ؟
إنها درجات في العلاقة بالله . ما موضعك بينها ؟

هنا وأرجو أن تأذن لي ، بأن أتناول هذه الأسئلة واحداً فواحداً ، ونناقشها معاً :

١ - هل تعرف الله ؟ ما عمق هذه المعرفة ؟

وقد يبدو السؤال غريباً . فكل إنسان يظن أنه يعرف الله ، وربما يقصد معرفته أنه يوجد إله . ونحن لا نقصد مطلقاً هذه المعرفة العقلية السطحية . فالشيطان أيضاً يعرف أنه يوجد إله . وقد قال القديس يعقوب الرسول « أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل . والشياطين أيضاً يؤمنون و يقشعرون » (يع ٢ : ٩) ، يقصد مجرد الإيمان العقلي ، الميت ، الذي بلا ثمر ، وبلا حياة في الله ...

وبعض الوجوديين يعرفون أن هناك إلهاً في السماء . و يتكلمون في هذه المعرفة قائلين « فليبق الله في السماء ، و يترك لنا الأرض نتمتع بها » ... !
أو كإنسان يعرف أن هناك كهرباء ، دون أن يعرف ما هي هذه الكهرباء وكيف تعمل ، ودون أن يستخدمها في حياته إستخداماً له عمقه ومجالاته الواسعة ...

فهل أنت تعرف الله هذه المعرفة العقلية السطحية وكفى ؟!

« هل معرفتك لله ، مصدرها الكتب ، أو مجرد سماع العظات والتعليم ؟ دون أية معرفة إختبارية في حياتك ، في داخل قلبك ؟ هل تسمع عن الله ، كما تسمع عن شعوب بعيدة ، لم ترها ، ولم تختلط بها ولم تعاشرها ؟! هل تعرف الله الذي يوجد فقط في الكنيسة ! فإذا ما خرجت من الكنيسة ، لا تعرفه ولا تلتقي به ؟! هل هو مجرد الإله الموجود في معاهد اللاهوت وفي كتب العقيدة ؟!

أسوأ ما في المعرفة العقلية ، أن تكون معرفة بلا علاقة !

لذلك ، فهي لا يمكن أن تكفى ... إنها تشير إلى الله من بعيد ، ولكن يبقى أن تقترب إلى الله ، وتعرفه عن طريق الخططة والمعاشرة والحياسة معه . وهكذا تعرف الله الذى يسكن فىك ، وليس مجرد الله الذى فى الكتب . فهل تشعر بوحود الله فىك ومعك ؟ أم أنك تحيا للأساسة التى عاشها أوغسطيموس فى فلسفته ، قبل أن يعرف الله معرفة حقيقية . وقد سجل هذه الأساسة فى اعترافاته ، حينما قال للرب « كنت معى . ولكننى من فرط شقوتى ، لم أكن معك » ... كان الله معه . وهو لا يحسه ، ولا يشعر به !
وهنا ننتقل إلى السؤال الثانى من أسئلتنا :

٢ - هل الله له وجود عملى واضح فى حياتك ؟

هل الله بالنسبة إليك هو مجرد فكرة ؟ ! أم له كيان حسيو شعريه ، وله وجود عملى فى حياتك ؟ ما مدى إحساسك بالله وجوده وفعاليته فىك ؟ من يكون الله بالنسبة إليك ؟ ... إن سؤال مسيح الله مازال قائماً أمامنا :

« من تظنون إنى أنا ؟ » . ما هو الله فى مفهومك ؟

وما نوع العلاقة التى تربطه بك ؟ هل هى مجرد علاقة السبب من جانبك ، والعطاء من جانبه ؟ هل الله هو مجرد (الصرف) الذى يقدم لك المال ؟ ... أم هو الممون الذى يعطيك ما يلزمك من تموين ؟ أم هو مجرد المعين الذى يقدم لك المعونة لراحتك ؟ فإن كان لا يقدم هذه المعونة ، أعنى إن كنت لا تشعر بهذه المعونة ، فلا علاقة ... ! هل ... رد النقد الذى يحل مشاكلك ؟ فإن بدا أنه لا يحلها ، فلا علاقة ... !

هل الله بالنسبة إليك مجرد وسيلة ؟ أم هو غاية ؟

هل هو مجرد وسيلة لتحقيق رغباتك ، ولتكوين ذاتك ؟ مجرد وسيلة للأخذ ؟ ... وهل توجد علاقة تربطك بالله ، خارج مجالات الأخذ منه ؟
« نكسما تجسس إلى الله أو كلما تتحدث إليه ، إنما يكون ذلك بقصد أن نعب منه شيئاً ؟! أم أنت على العكس ، نريد أن نقدم له شيئاً ؟ تريد إعطيه قلبك ، ون إعطيه حبك ، وأن تعطيه وقتك . وتقول له في كل من يدك أعطيناك » ...

إن أحببت أن تأخذ من الله : فهل ما تريد أن تأخذه هو المتعة به وعيته ، أم عطاياه المادية وخيراته ... ؟ ... حقاً إن الله يجول يصنع خيراً ...

هل أنت تحب الله أم خيراته ؟ ذاته أم عطاياه ؟

مر أنت تفرح بالرب حينما يعطيك شيئاً ، ولا تفرح حينما لا تحس بعطائه ؟ إذن فأنت تفرح بالعطية ، وليس بالله معطيها ! العطية هي هدفك ، وليس الله !

متى تحب الله حينما يعطى ، وحينما لا يعطى ؟ آسف لهذا التعبير... أقصد متى تحب الله حينما يعطى ، وحينما تظن أولاً تشعر أنه يعطى ... فإن الله بطبيعته ، دائماً يعطى ، سواء أحسست أنت ذلك أو لم تحس ...

صدقوني يا إخوتي ، لو أننا آمناً تماماً بأن الله يعطى باستمرار ، كانت الحياة كلها تكفى لشكره ... ! إننا نعرف فقط عطاياه الظاهرة لنا . فإذا عن عطاياه الخفية ؟ ذلك لأن الله إن كان قد أمرنا أن نعطي في

الخفاء ، فهو أيضاً يعطى فى الخفاء ... وإن بحثنا عن عطاياه الخفية ،
لوجدناها فوق ما ندرك ، وفوق ما نتصور...

ومع ذلك ، لنترك موضوع العطاء حالياً ، فعلاقتنا بالله ينبغى ألا تبني
على العطاء .

ما هى علاقتك بالله إذن ، خارج دائرة إحتياجك إليه ؟

هل علاقتك به ، هى علاقة خوف ؟

هل أنت تسير مع الله ، وتحاول أن تطيع وصاياه ، خوفاً منه ... هل
أنت مجرد خائف من عقوبته ومن دينونته ، خائف من اليوم الذى تقف
فيه أمامه ومحاسبك ، هل أنت خائف من رقابة الله عليك ، هذا الذى
يفحص الأفكار والنيات ، و يرى ما فى داخل القلب ، وما فى أعماق
النفس ، وليس شىء مستوراً عنه ؟

لا يخاف من عقوبة الله إلا المخطيء . فهل أنت لا تزال فى هذه
المرحلة ، لم تتب بعد ولم تصطلح مع الله ؟ وإن كان الكتاب قد قال « بدء
الحكمة مخافة الله » ، فهل أنت مازلت فى بداية الطريق ، ولم تصل بعد إلى
« المحبة التى تطرح الخوف إلى خارج » كما قال الرسول (١ يوحنا : ٤ : ١٨) .

هل علاقتك بالله ، هى علاقتك به كحاكم ؟

هو بالنسبة إليك مجرد سيد ، وأنت مجرد عبد . والله هو حاكم
يحكمك ، يصدر لك أوامر ونواهي ، تسمى الوصايا ، وأنت مجبر أن تطيعه ،
فهو القوى الحبار الذى لا منقذ من يده ، سواء اقتنعت به صاياه أو لم
تقتنع ؟!

إن كنت هكذا ، فأنت لا تزال تعيش في عبودية الناموس ، ولم تصل إلى حياة النعمة بعد ... ولم تصل إلى النقاوة التي تحب بها وصايا الله ، ولا تجدها ثقيلة ... بل تقول مع داود « وصية الرب مضيئة تنير العينين » (مز ١٩) ، « أحببت وصاياك جداً » (مز ١١٩) ، « كلماتك حلوة في حلقى ، أحلى من العسل والشهد فى فمى » (مز ١١٩) . وأيضاً هل أنت قد وصلت إلى الشعور بأبوة الله لك ، على الأقل كلما تصلى وتقول « يا أبانا ... » ؟

ما هى علاقتك بالله ؟ هل هى تحت الاختبار ؟

هل أنت لم تصل بعد إلى درجة الثقة بالله وبمحبه ومواعيده ، فما تزال تختبر ؟ تجربه فى هذا الموضوع أو ذاك ، وترى كيف سيتصرف معك ؟ وهل سيستجيب لك أم لا يستجيب ، وتحدد علاقتك به هل هذا لأساس ! فتحبه ، أو تغضب منه ، أو تقاطعه وتقاطع كنيسته وكتابه ، تبدأ تشك فى ما تعرفه عنه من صفات ... ؟ !

أنت نعرف أن الله محبة ، هل تثق بذلك ، وهل تؤمن أن كل أعماله من نحك مملوءة حباً ، مهما كان ظاهرها ؟ ثم ما علاقتك أنت بهذه محبة ؟ هل يملأك الحب نحو الله ونحو الناس ، فتشعر أن الله يعمل معك . الله أيضاً هو الحق . فما علاقتك بالحق ؟ إن كنت بعيداً عن الحق ، أنت بعيد عن الله .

أعود إلى سؤالى مرة أخرى : ما علاقتك بالله ؟

هل علاقتك بالله ، فيها العشرة والحب والحياة فيه ؟

هل تستطيع أن تقول عن الله ، كما في سفر النشيد « حبيبي لى ، وأنا له » (نش ٦ : ٣) . أنا أعرف أنك مؤمن بالله ، على اعتبار أنه الخالق ، والسيد ، والراعى ، والمدبر ، والديان ، وتنظر إليه هكذا . ولكن هل تنظر إليه أيضاً كمحب للبشر . وحبيب لنفسك بالذات ؟ هل وصدت علاقتك بالله إلى مستوى الحب ؟

هل محبتك لله ، جعلته الأول فى حياتك ، والوحيد ؟

هل تقول لله فى مناجاتك : حينما عرفتك يارب ، وذقت محبتك ، تضاءلت أمامي كل العواطف الأخرى ، وكل المحبات وجدتتها خفيفة وسطحية . أما حبك فهو الوحيد الذى يصل إلى العمق .
وهل محبتك لله جعلتك تحب أن تجلس معه ، وتحدثه ، وأصبحت صلاتك كلها حباً ، متأججة بعواطفك نحو الله . وبالمثل كل الوسائط الروحية الأخرى فتلاّت من حرارة هذا الحب الإلهي . ولم تعد مجرد مدرّست روحية ، إنما هى تعبير عما فى قلبك من عاطفة نحو الله ... إن كنت هكذا فطوباك . وإن لم تكن هكذا ، فاستيقظ لنفسك ، لئلا يوبخك قول الرب « هذا الشعب يعبدنى بشفتيه ، أما قلبه فابتعد عني بعيداً » .
(أش ٢٩ : ١٣) .

إن الله لا يريد فى علاقته بك سوى هذا الحب .

إنه لم يطلب سوى هذا « يا إبنى أعطنى قلبك ... » ...

والسيد المسيح لما رأى بطرس الرسول بعد القيامة ، لم يقل له لماذا أنكرت ، أو كيف ضعفت ؟ أو ماذا كنت تقصد بالسب واللعن وعبرة

أعرف الرجل ! ... إنما سألته سؤالاً واحداً لا غير هو « أتحبني ؟ »
(سورة ٢١: ١٥) . فلما أجاب بطرس « أنت تعلم يارب كل شيء ، أنت
سم إني أحبك » ، حينئذ قال له الرب « إرع غنمي ... إرع خرافي » . إنه
يريد سوى هذا الحب .

تدريبات كثيرة ، أم تدريب واحد ؟

أتذكر بهذه المناسبة أنه وصّني سؤال ، يقول فيه صاحبه :
كلما أقرأ الكتاب المقدس ، تتكشف لي فضيلة معينة ، فأحاول أن
رب نفسي عليها . ثم أقرأ مرة أخرى ، فتكشف لي فضيلة ثانية ، ثم
ثالثة ... إلى غير انتهاء . وأنا أحاول أن أدرب نفسي على كل هذه الفضائل
مديدة ... ولكنني في حيرة شديدة من كثرتها . فأنصحني بماذا أبدأ ؟ وماذا
كني أن أؤجله ، لأنني من كثرة التداريب أنسى بعضها أو أنسى
بيتها ... !

والحقيقة إن محبة الله تشمل كل الفضائل ...

إن تدرب الإنسان على محبة الله ، يجد داخلها كل شيء .

إنها لتدريب الوحيد الشامل ، الذي إن أتقنته ، لا تحتاج معه إلى
تدريب روحية أخرى ، على أن تكون محبة حقيقية عميقة ، وبفهم ...
يتعلق فيها القلب بالله ، وينسى كل شيء ما عداه ، ويفضله على
رغبة وكل شهوة .

إن كل إنسان قد يقول « أنا أحب الله » . وربما نسأله سؤالنا
سابق : حسن أن تحب الله . ولكن هل الله في قلبك هو لأول ، وهو

الوحيد ؟ هل محبة الله تشبع هذا القلب ، فلا يحتاج إلى حب آخر إلى جوار الله ؟ واضح أنها لو كانت محبة حقيقية ، يشعر فيها الإنسان بالإكتفاء .

إن المحبة الحقيقية لله ، تحرر القلب من كل شيء .

محبتنا لله ، لها عمقها . وإن وصلت إلى عمق القلب ، تطفو كل المحبات الأخرى على السطح ، وتمتد محبة الله كل القلب . وكل محبة لا تنبع من محبة الله ، تخرج خارجاً ، ويصير الله هو الكل . وبمحبة الله يتحرر الإنسان ...

يتحرر من كل شهوة ، ومن كل رغبة ، ضد الله .

إن كل شهوة تعنى بها الإنسان ، تربطه بها ، وتشدّه إليها . وبدلاً من أن ممسك هو به ، تسمك هي به . وكما تمسكها تمسكه . وهذا يفقد جزءاً من حريته الخفية لدخية ، فيما هو مربوط بهذه الشهوة ...

وكيف يحل الإنسان من رباطات الشهوات والربات ؟

بنحل منها ، بمحبة أقوى ، تستطيع إن دخلت قلب ، أن تحل محل كل محبة أخرى ، وتطردها إذ هي أعمق منها . ولا توجد محبة أقوى من محبة الله الحقيقية . إنها تحرر الإنسان من كل رغبته ، فينحل من الكل ، ليرتبط بهذه المحبة الواحدة ...

ويرى أن كل ما هو خارج الله ، ليس متعة .

يصير الله هو شهوة النفس ، ولا شهوة غيره . لذلك قال أحد القديسين عن التوبة إنها إحلال حب محل حب ، حب الله مكان حب العالم والجسد

لمادة... فهل وصلت محبة الله في قلبك إلى هذا المستوى ؟ وهل حررتك
أغلال الرغبات .

حتى في الأبدية : النعيم الأبدى هو الله ...

لا يوجد نعيم أبدى سوى الله . وكل نعيم غير الله ، ليس هو نعيماً
قصياً... إن المتعة الدائمة الكاملة بالله ، هي ما لم تره عين ، ولم تسمع به
ن... هذا هو المسكوت الحقيقي ، أن نحيا مع الله ، وفي الله ، إلى الأبد ،
: عاش ...

محبة الله تحرر الإنسان من الرغبات ، وأيضاً من الخوف :

ونقصد بعبارة « من الرغبات » أنه لا تسيطر عليه أية رغبة
ستعبده . وكما قال القديس بولس الرسول « كل الأتشاء تحلى ،
كن لا بتوسط على منها شيء » (١ كو ٦ : ١٢) . حميل هو مثل ذلك
مصفور ، الذى يجد مكاناً فيه حب كثير ، فيلتقط منه واحدة أو أكثر ،
طير ، دون أن يتعق بهذا المكان . ولا يختزن ، ولا يلتصق بهذه
جوب ...

والذى يحب الله لا يخاف . فالخوف يمنع أيضاً بالرغبات . إن
نسل يخاف إن كانت هناك رغبة يختص عدم الوصور إليها ، أو هي معه
شيء ضياعها . أما الذى حررته محبة الله ، فمن أى شيء يخاف ؟ وعلى
شيء يخاف ؟ لا شيء . لكنه بشدو مع لقديس أنغستينوس قائلاً :

**« جلست على قمة العالم ، حيناً أحسست في نفسي أنى لا أشهى
نأ ولا أخاف شيئاً » .**

حينئذ تمتلئ قلبه قوة ، و يقول مع بولس لرسول « من سيفصنا عن
محبة المسيح : أشدة أم ضيق أم اضطهاد ، أم جوع أم عرى ، أم خطر أم
سيف ؟ ... ولكنك في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا ... »
(روم : ٣٥ ، ٣٧) .

إن أولاد الله أحرر من الداخل . حررتهم محبة الله . لى دخلت . و
فلوهم . ومنحهم النفاوة والتجرد . ومنحهم الهوة والسجاعة . وقطعت من
فسوهم كل رباطات الرغبات . فتحررو . صار كل منهم حراً . أكثر من
سعاء الشمس . وأكثر من نسيم الهواء ...

أيسألك أحد إذن : ما هو الله بالنسبة إليك ؟

ولعبت تفوق : هو حبيب لى « سماه تحت راسى ، وبسبه
عنهنى » (نش ٢ ، ٦) هو عشرة التى لا يمكنى الإستغناء عنه . لأن
أوجد وأحيا وأتحرك ... هو ليس فكرة . ولكنه كيان سرى و روحى و
دمى و فى فكرى . هو بالنسبة لى كل شيء .

عنه أنت رب العدم فى . وأنت لا تعمل . أنت محركى وأنت
سوجه . أنت تعمل معى . وتعمل لى . وتعمل فى ... ردا لا أدركك .
وكى أحسك . يدرك روحى و دحى . لا يستطيع لى أن يعبر عنه .
أعرفك . ولكن أفاظ البعة أضعف من أن تشرح هذه المعرفة .

أنت يارب لست خارجى . ولكنك فى داخلى .

عندما أذكرك . لست فقط أرفع نظرى لى فوق . فأنت لست فقط
فوق فى السماء . إنما أنت فى داخلى . وأنت أفتش عنك فى الخارج ...

وصدق ذلك الأديب الذى قال « أغمضت عيني ، لكى أراك » . فأنت فوق الحواس ، وأنا أتخلص من هذه الحواس قليلاً ، لكى أجذك ... أما إن انشغل عقلى بالحواس ، بالنظر والسمع واللمس ... فقد تعطينى عنك . ليتنى يارب أنسى الكل ، وتبقى أنت وحدك ، تتابع حياتى .

إن مشكلة أبينا آدم هى الإضافات التى دخلت إلى قلبه وإلى فكره ، إلى جوار ربه :

كان الله فى البدء ، هو كل شىء فى حياة آدم .
أما فى خطيئته ، فقد دخلت إلى قلبه أشياء أخرى .
قدم له الشيطان المعرفة لكى يحبها بدلاً من الله .
وقدم له حب التأله . وأغراه بأن يصير هو وحوء إلهين مثل الله
(تك ٣ : ٥) .

وقدم له شجرة وثمره لياكل ... وأراه التمرة شهية للنظر ، وجيدة للأكل ، وهجة للعيون . وهكذا أدخل إلى حياته شيئاً جديداً . هو متعة الحواس ، وشهوة الجسد بالأكل .

اخلاصة أنه قدم له أشياء جديدة تغزوقبه ، وتستغرق فيه إلى جوار الله ، أو تأخذ أهمية أكثر من الله . يضحى بالله من أجلها ... ! وهكذا لم يعد الله هو الكل بالنسبة إلى آدم ، بل وجد له فى القلب ما ينافسه ... !

صار الله بالنسبة إليه . واحداً من مجموعة !

لم يعد الله يمتلك كل المحبة داخل القلب ، إذ دخلت إلى القلب أيضاً محبة المعرفة ، ومحبة التأله ، ومحبة الأكل ، وشهوة الحواس .

و باختصار ، دخلت (اوقات) لتنافس الله في التركيز في الأهمية ...
و بتوالي الأيام والأجيال ، دخلت إلى قلوب البشر أمور أخرى ، على
حساب مركز الله في المسب . وكلما كثرت محبة هذه الأمور ، قست محبة
الإنسان لله ...

وكيف يكون العلاج إذن ؟ إنه بلا شك يكون في ترك كل هذه
الأمور الدخيلة .

فهل أنت مستعد أن تترك ... من أجل الله ؟

إن لشباب الغنى لم يستطع أن يترك أمواله الكثيرة ، لذلك ترك الرب
ومضى حزينا ... ! وأبوانا لأولان آدم وحواء ، لم يستطيعا أن يتركا إغراء
المعرفة والألوهية . ففقدنا صورهما الإلهية ... فهل تتعلم من هذا درساً في
الترك ؟

إن لم تستطع أن تترك كل شيء من أجله . فهل يمكنك أن تبدأ بأن
تترك العشور والبكور للرب ؟ وهل يمكنك أن تترك الإنشغال يوماً في
الأسبوع لكي تتفرغ فيه للرب ؟ وهل يمكن أن تترك بعض الملاذ التي
تشغل قلبك ، ليصير القلب صافياً لله ؟ سهل عليك أن تفعل هذا . وسهل
أن تترك بعض ألوان الطعام ، لتعطى روحك في الصوم فرصة ترتفع فيها
فوق المادة والجسد ، لتتصل بالله ...

المهم أن تكون مستعداً ، لأن تترك من أجل الله شيئاً .

إن كانت لله الأولوية في قلبك ، يمكنك أن تترك لأجله .

يمكنك أن تستغنى عن أى شيء ، لأن كل شيء سيصغر في قلبك إلى

وماذا كانت مشكلة (الوجوديين) سوى الذات ؟

الوجودى يريد أن يشعر بوجوده ، و يتمتع بهذا الوجود ، حسب اتجاهاته الخاصة ، بالإستغراق فى ملاذ العالم ، وبالحرية الكاملة التى لا يقف أمامها عائق من قانون أو تقليد أو وصية إلهية ... ! وفى هذا يرى أن الله يحد من استباحة هذه الحرية ، فيرفض الله من أجل الذات ، لكى تتمتع ذاته بهذا الوجود ، متعة ينطبق عليها قول الرب « من وجد نفسه يضيعها » (مت ١٠ : ٣٩) .

وشعار الوجودى هو : من الخير أن الله لا يوجد ، لكى أوجد أنا ، وأتمتع بالوجود ... !

وهكذا نرى أن الذات ، قد ضيعت العلاقة مع الله .

إن مثال الوجوديين هو من أسوأ الأمثلة . وقد يشبههم الأبيفوريون الذين غايتهم هى اللذة ، وشعارهم : لنأكل ونشرب ، لأننا غداً نموت ، أى لنمتع ذواتنا عما تشتهي ، قبل أن نموت . ومثلهم كل الذين سلكوا فى شهوات الجسد

على أن هناك أمثلة أخرى ، من جهة الذات وسيطرتها :

« هيرودس المسك » . لذى عصر ميلاد المسيح . لم يفرح بالرب وبالخلاص الآتى ، وإنما فكر فى ذاته . كيف يكون هناك مسك لليهود غيره . وقادته (الذات) إلى أن يأمر بقتل كل أطفال بيت لحم ، ليخلو الجوله ... بعيداً عن مكوث الله !! وهكذا لم يفرح بميلاد الرب . كما فرح به الرعاة والمجوس . الذين لم تكن الذات تعوقهم عن الله !

« وهيرودس 'للك' ، الذى قتل القديس يعقوب لرسول ، « رذل
جن بطرس ... هذا لما جلس على عرشه ، منتفخاً بحمته اللاهوتية . يكلم
شعب . وهم مدحوبه قائلين « هذا صوت إله ، لا صوت إنسان » ...
يرودس هذا ، إذ اهتم بمجد ذاته ، ولم يعط مجداً ... أضاع نفسه ، إذ
ربه ملاك الرب ، فصار يأكله الدود ومات (أع ١٢ - ٢ - ٢٣) .

« بيلاطس أيضاً ، اهتم بذاته ، ولم يهتم بالمسيح . ومع تصريحه بأنه
لا توجد فيه عمة تستوجب لموت » ، لا أنه حرصاً على مركزه ، لئلا
نضب عليه قيصر بسبب إتهامات اليهود ، سم البار للموت وهو حاكم
طلاقه ... ! ولم يكتف بهذا ، بل حاول أن يبرر ذاته أيضاً ، فغسل يده
لويقوف « أنا برئ من دم هذا البار » !

وهكذا اسنطاعت الذات ، أن تسقط الملوك والولاة ، وتهلكهم !

والذات أيضاً أسقطت رؤساء الكهنة ومعلمى الشعب :

أولئك الذين أسلموا المسيح للموت حسداً ، إذ خافوا على مراكزهم
من شعبيته ، وقالوا بعضهم لبعض « أنظروا إنكم لا تنفعون شيئاً . هوذا
بالم قد ذهب وراءه » (يوحنا ١٢ : ١٩) .

ومن أجل الذات التى أتعبها الحسد ، بعدوا عن الله تماماً ، وهم
نال دين ، فدفعوا مالا ليهودا لكى يخون معلمه ، وأتوا بشهود زور لم تتفق
إلهم ، ولفقوا للسيد تهماً هم يعرفون زيفها . ودفعوا رشوة للجنود ، ليقولوا
، تلاميذه سرفوا الجسد ونحن نيام ! كل ذلك فعلوه ، وفقدوا الرب
ببه ، حفظاً على الذات وعلى الرئاسة والشهرة ! !

أما ملكوت الله فلم يفكروا فيه . وكذلك النبوات الخاصة بالخلاص
والفداء ، ما اهتموا بها . وتعليم الشعب وقيادته إلى الإيمان ، أمر تجاهلوه
تماماً ! كل ما كان يشغلهم ، هو ذاتهم ، كيف تكبر أمام الناس ، ولو
بتحطيم هذا المنافس ، ولو كان المسيا .

يبكت كل هؤلاء المعمدان ، الذى انطلق من الذات ...

كان كل اهتمام يوجه إليه ، يتخلص منه ، ويوجهه إلى المسيح ،
قائلاً : يأتى بعدى من هو أقدم منى ، من هو أقوى منى ، الذى لست أنا
مستحقاً أن أنحنى وأحل سيور حذائه ...

وقال أيضاً : من له العروس فهو العريس ... أنا صديق للعريس ،
أنظر من بعيد وافرح . ينبغي أن ذاك يزيد ، وإنى أنا أنقص (يوحنا ٣ :
٢٩ ، ٣٠) .

كانت كل الأبحاث تحيط ببوحنا المعمدان ، لكنه لم يسمح أن تدخل
إلى قلبه . لم تكن ذاته هى التى تشغله ، بل كان يشغله الرب وحده ،
الذى جاء هو ليعبد الطريق قدامه ، لذلك كان المعمدان يخفى ذاته ،
ويقول عن السيد « الذى من فوق ، هو فوق الجميع » ...

محبة الذات تفود إلى الحسد . والحسد يضيع المحبة ...

المحبة لا تحسد . وحينما يحسد الإنسان ، يتمركز حول نفسه ، ويفقد
محبة نحو من يحسده . وإذا فقد المحبة ، فقد الله ، لأن الله محبة ... بالحسد ،
أخوة يوسف باعوا أخاهم كعبد ، وخذعوا أباهم . ولم يضعوا الله أمامهم .
كل ذلك لأنهم أحبوا ذواتهم ، ولم يقبلوا أن يكون يوسف أنسل منهم فى

إحترس من أن تنزع المحبة من قلبك بحسد، أو بغضب، لئلا تفقد الله، الذى لا يحل فى قلب خال من المحبة. وإن كنت لا تستطيع أن تحب أخاك الذى تراه، فكيف ستحب الله الذى لا تراه؟! (١ يوحنا ٤: ٢٠).

الذات تريد أن تكبر، كما تريد أن تلتذ وتتمتع...

والذات فى محبتها أن تكبر، تضيع الله من

قلبها... .

ولعل أبرز مثال لذلك هو سقطة الشيطان، الذى قال فى قلبه " أصعد إلى السموات، أرفع كرسي فوق كواكب الله... أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العلى (أش ١٤، ١٤: ١٣). فكانت النتيجة أنه انحدر إلى الهاوية... لقد أرادت ذاته أن تكبر، إلى حد أنها نافست الله نفسه فى جلاله الإلهى!

ومن الذين ضيعهم كبر الذات، بناء برج

بابل... .

أرادت ذاتهم أن تكبر، بحيث ترتفع عن مستوى الذين يعيشون على الأرض. وهكذا قال هؤلاء " هلم نبين لأنفسنا مدينة، وبرجاً رأسه فى السماء، ونصنع لأنفسنا إسماء... " (تك ١١: ٤). فكانت النتيجة أن الله بلبل ألسنتهم وشنتهم. وهكذا كل من أراد أن يرفع ذاته، يوضع إلى أسفل، ويفقد الله.

أما الذى يضع أمامه عظمة الله غير المحدودة، فإن ذاته تصغر فى عينيه ويرى أنها مجرد تراب ورماد. فتتسحق ذاته، وفى انسحاقها يرفعها الله، اليه..

والعجيب أن حرب الذات هذه ، حاربت القديسين ...

آباؤنا الرسل الإثنا عشر ، حاربهم الذات أيضاً ! وفكروا من يجلس عن يمين الرب وعن يساره ، ومن يكون الأول فيهم ؟ ! والرب الذى يعرف أن الذات تبعد الإنسان عن الله ، قال لهم : لا يكن فيكم هذا الفكر . من أراد فيكم أن يكون أولاً ، فليكن آخر الكل وعبداً لكل . وأعطاهم مثلاً ، حينما انحنى وغسل أرجلهم . ولما ظهرت ذاتهم فى فرحهم بإخراج الشياطين ، وقالوا « حتى الشياطين تخضع لنا بإسمك » قال لهم الرب « لا تفرحوا بهذا » . الفرح لا يكون بالذات ، إنما بالالتصاق بالله ومحبه . وهذا تكتب أسماؤهم فى ملكوت الله .

إن الذات كما حاربت الرسل ، حاربت نبياً عظيماً كيونان ...

كانت تهمه ذاته ، وهمه أن كلمته لا تنزل إلى الأرض . لذلك لما أمره الله أن ينادى على نينوى بالهلاك ، وهو يعرف أنه غفور سرحم ، هرب من وجه الله وخالفه . وهكذا اصطدم بالله من أجل ذاته ... ! ولما خرج من بطن الحوت ، ونادى على نينوى ، فتابت ورحمها الله وغفر لها ، لم يفرح بهذا الخلاص العظيم ، إنما كان مركزاً حول كرامته ، حول ذاته ، حول كلمته لنى قالها ولم تنفذ . وجلس حزينا . حتى أن الله قال له « هل اغتظت بالصواب ؟ » فقال « إغتظت حتى الموت » . وهذا كانت مشيئة يونان ضد مشيئته . وكانت عواطفه عكس عواطف الله . وكل ذلك بسبب تمرّكه حول ذاته ! ولولا أن الله بحث عن هذا النبي ، وأصلحه وصالحه ، لضاع هو أيضاً ... !

كذلك أيوب الصديق الرجل الكامل ، حاربتة ذاته ...
كان رجلاً كاملاً ومستقيماً ، ومشكلته أنه كان يعرف عن ذاته أنه
كامل ومستقيم ، حتى أنه قال « كامل أنا ، لا أبالي » « إن تبررت بحكم
على في . وإن كنت كاملاً يستدنبني » (أى ٩ : ٢١ ، ٢٠) . لذلك قيل
عن أيوب « إنه كان باراً في عيني نفسه » (أى ٣٢ : ١) . وبسبب هذا
عاتب الله عتاباً شديداً جداً ، قال له فيه « لا تستدنبني . فهمني لماذا
تخاصمني ؟ أحسن عندك أن تظلم ؟ » (أى ١٠ : ٣ ، ٢) . أما أصحابه
فكان شديداً عليهم أيضاً .

وظل هكذا في التجربة ، حتى ناقشه الله ، وحرره من ذاته ، فاتضع
أخيراً وقال للرب « ها أنا حقير ، فيماذا أجابوك ؟ وضعت يدي على
ففي ... » (أى ٤٠ : ٤٠) ، « قد نطقتم بما لم أفهم . بعجائب فوقى لم
أعرفها ... أسألك فتعلمني ... لذلك أرفض (ذاتي) وأندم في التراب
والرماد » (أى ٤٢ : ٣-٦) . ولما وصل أيوب إلى هذا التراب والرماد
« رفع الرب وجه أيوب ، ورد الرب سبي أيوب » (٣٢ : ٢٩ ، ١٠) .

إنها الذات ، يجب أن يتجرد الإنسان منها ، أو يجرده الله ...

وفي قصة أيوب جرده الله من كل شيء ، من كل ما كان سبباً في
عظمته وفي افتخاره . جرده من المال والغنى ، ومن الأولاد . ومن الصحة .
ومن احترام الناس له ... جرده من كلمة « أنا » ، ومن اعتزازه بفهمه
وحكمته ، حتى وضع يده على فمه وسكت ... ثم ندم في التراب والرماد .
وقال للرب « أنا حقير ، فيماذا أجابوك ؟ ! » . وحينئذ رفعت عنه
التجربة .

أرأيت إلى أى حد تبدو خطورة الذات ؟!

حينما يثق الإنسان بذاته ، بذكائه وتفكيره وقدراته . وربما يعتمد على هذه الذات ، وربما يفتخر بذاته وأعماله كما افتخر أيوب (أى ٢٩) . وربما بسبب الثقة بالذات ، يعتمد الإنسان على فهمه ولا يستشير وبنينا يقول الكتاب « توجد طريق تبدو للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت » (أم ١٤ : ١٢) .

إهتمام أبينا يعقوب بذاته . كم جر عليه من المتاعب ؟!

لكى يأخذ بكورية أخيه منه ، ويحل محله ، كم لجأ إلى الطرق البشرية ، وإلى الكذب والخداع . وتعرض لغضب أخيه ، وخاف وهرب ...

إن الذات إذا أرادت أن تحقق رغباتها . ما أكثر أن تلجأ إلى التحايل ووتفقد طاعتها الروحية . مبتعدة عن الله . وكثيراً ما تصير الذات هدفاً .

ويصبح الله مجرد وسيلة ، لتحقيق هذه الذات وأهدافها !

فلا يكون الله هو الهدف . الذى يضحي الإنسان بذاته من أجله ، بل على العكس تصبح الذات هى الهدف ، والله هو الوسيلة التى تبنى هذه الذات !!

حتى أن كل الصلوات تصبح مركزة فى طلبات هذه الذات . سواء وافقت مشيئة الله أم لم توافق ... ! وفى هذه الحالة تختفى صلوات التسابيح والتمجيد الخاصة بالله وحده . ويختفى عنصر الحب والمساواة فيها ...

إن السيد المسيح أعطانا مثلاً في التخلي عن الذات ...

ففي تجسده ، نرى هذه العبارة العجيبة ، إنه « أخلى ذاته » . وإلى أى حد أخلاها ؟ إلى حد أنه « أخذ صورة العبد » ... وماذا أيضاً ؟ وأطاع حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٧ - ٩) .

وعلى الصليب ، قدم هذه الذات أيضاً ذبيحة محرقة لإرضاء الله الآب وإبفاء عدله الإلهي . وقدمها أيضاً ذبيحة خطية لكي يخص البشرية التي حمل خطاياها ، ومن أجلها « أحصى بين أثمة » .

وفي خلال فترة تجسده على الأرض ، قال للآب « لتكن لا مشيئتي ، بل مشيئتك » مدمماً ذاته بالكلية على مذبح الطاعة .

إخلاء الذات تعلمه بولس الرسول من السيد الرب ، حينما قال « لأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فيّ » (غل ٢ : ٢٠) .

من يستطيع أن يقول مع القديس بولس « لا أنا » ...

لذلك ليتنا نعيد النظر في علاقتنا بالله وتقييمها . ونحاول أن يكون الله بالنسبة إلينا هو الكل . له كل عواطفنا ، وكل قلبنا وحبنا ، تتركز فيه كل آمالنا ، ونفضله على كل شيء ، ونجد لذتنا فيه . فنتغنى مع أرمياء النبي ونقول « نصيبي هو الرب ، قالت نفسي . من أجل ذلك أرجوه » (مرا ٣ : ٢٤) .

[۲]

« نصیبي هو الرب »

قالت نفسی « (مرا ۳ : ۲۴)

« نصيبى هو الرب قالت نفسى » .

كلنا نحب هذه العبارة الجميلة ، ونحفظها ونردددها . ولكن من منا ينفذها ويحيها ؟ ومن منا يتخذها مبدأ روحياً يغنيه عن وصايا كثيرة .

هل تقبل أن يكون الرب هو نصيبك من هذه الحياة كلها ؟
هناك من يرى أن نصيبه فى الحياة هو البيت والأسرة والزوجة والأولاد ، ونصيبه هو المركز ، المال والشهرة والوظيفة والسلطة ...
ولا مانع من أن يضاف الله إلى كل هذا ... !

ولكن أن يكون الله وحده هو نصيبه (مز ١٦ : ٥) ، ويكتفى به ، ولا يعوزه معه شيء (مز ٢٣ : ١) ... ويتغنى ويقول « حظى أنت يارب »
(مز ١١٩ : ٥٧) أى نصيبى ... فهذا أمر ليس سهلاً على كل أحد أن
قوله ، وليس سهلاً على كل أحد أن يحياه ...
ومع ذلك فقد أعطانا الله أمثلة له فى كتابه المقدس .

أعطانا الرب مثلاً لهذا ، فى كهنة العهد القديم :

وليس الكهنة فقط ، إنما كل سبط لاوى ، لذى كان يتفرغ لخدمة
رب . لقد وزعت الأنصبه على كل الأسباط . ولكن « لم يكن للاوى
سم ولا نصيب مع أخوته . الرب هو نصيبه ، كما كلمه الرب »
(تث ١٠ : ٩) .

لذلك صار إسمهم (الإكليروس) أى النصيب ، لأن الرب هو
صيبهم ، وهم أيضاً نصيب الرب . وكان الرب يكفيهم ، فلم يعوزهم
شيء . وصارت حياتهم نصيباً للرب ، لا تشغلهم أرض ، ولا أملاك ، ولا
بل آخر سوى عمل الرب ...

فهل أنت كذلك ؟ ... نصيبك الرب ؟ إن لم تكن من المكرسين للرب ، فعلى الأقل إختبر علاقتك بالله في ضوء الأمثلة الآتية :

١ - إن لم تكن حياتك نصيباً للرب ، فهل يوم السبت نصيبه ؟

إن كنت لا تعطى الحياة كلها للرب ، فهل تعطيه هذا اليوم الواحد من كل أسبوع ؟ هل تقدس يوم الرب ، يوماً للرب كل أسبوع ، عملاً من الأعمال لا تعمل فيه حسب وصية الرب (تث ٥ : ١٤) . هل تخصصه للصلاة والتأمل والقراءة الروحية ، وخدمة الرب ، والتمتع به ؟ أم أن لك اهتمامات أخرى تشغلك ؟

إن كنت لا تقدم هذا اليوم الواحد للرب ، فهذا اعتراف ضمني أن الرب ليس هو نصيبك بالتمام ... لو كان نصيبك ، لاستطعت بطريقة ما أن توجد له وقتاً ، وأن تتحكم في مشغولياتك ، ويكون يوم الرب للرب ...

٢ - إختبار آخر لنصيب الرب فيك ، هو الصلاة ...

إن كنت لا تواظب على الصلاة ، فذلك لأن الرب ليس هو نصيبك ، ليس هو الذى يشبعك ويملاً قلبك !

لهذا حينما تقف للصلاة ، تجد عشرات الأفكار تقف أمامك ، وتجدها كلها مهمة جداً ، وتعجبك . فتفكر متى تنتهى من الصلاة ، لكى تتفرغ لهذه الأمور التى قد تعتبرها للأسف أهم من الصلاة ! ... لو كانت هذه المسائل مجرد محاربات من العدو ، لكنت تتضايق منها ، وتستمر فى الصلاة التى تجد فيها لذتك . أما إن كانت هذه الأمور تشدك ، وبعنف ، فتسرع فى صلاتك وتنتهيها ، بسبب هذه الإهتمامات ... فهذا دليل على أن الله لم

يصر نصيبك بعد ...

أما الذى يكون الرب نصيبه ، فإن وقف للصلاة ، لا يجب أن يتركها ، بل هى تشمل كيانه كله ، وتستوعبه . وكل الإهتمامات الأخرى ، ينساها . وإن تذكرها ، تبدو تفاهات أمامه ، لا تستحق أن تشغل قلبه ، أو أن تشغل فكره ...

وهنا ننتقل إلى نقطة ثالثة ، فى اختبار نصيب الرب :

٣- الذى يكون الرب نصيبه ، يجد متعة فى الله ولذة ...

إنه يفرح بالرب ، ويجد متعة فى الجلوس معه ، ولذة فى محادثته ، ويقول مع داود النبي « باسمك أرفع يدي ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم » (مز ٦٢) .

وفرح الإنسان بالله ، يدفعه إلى أن يخصص لله وقتاً أكثر ، وأن يدخله فى العمق ، عمق قلبه ، وعمق حبه ، وعمق تفكيره واهتماماته ... على أن البعض قد يجدون فرحاً بأمور العالم ، ولذة فيها ، بمستوى لا يتوافق فى علاقتهم بالله . وهذا يدل على أنهم لم يتخذوا الرب نصيباً لهم ... إن كان الأمر هكذا ، فلنسأل : ما هى علاقتك بالله ؟ هذا إن كانت لك علاقة به فعلاً ... وأين الله منك ؟ ما مدى وجوده فيك ؟

هل هو على هامش حياتك ؟ أم هو فى صميم حياتك ؟

أم هو حياتك كلها ؟ ماذا تراه يكون بالنسبة إليك ؟

هل هو أمل من آمالك الكثيرة ؟ أم هو كل آمالك ؟

هل هو جزء من مشغولياتك ؟ أم هو كل ما يشغلك ؟

هل الله بالنسبة إليك نظرية قرأتها في الكتب ؟ أو هو مجرد تعليم تعلمته في الكنيسة ؟ أم أنه يمثل كياناً عملياً في حياتك ؟

كن صريحاً مع نفسك ، ولا تخدع ذاتك ...

أقول هذا ، لأن البعض قد يصلى ، والله على جانب حياته ، وليس في العمق . وقد يصوم هذا الإنسان ، ويتناول ، ويمارس كل الوسائط الروحية ، ومع ذلك لا يزال الله على جانب حياته ... !

فتى يصير الله هو الحياة كلها ؟ ومتى نقول مع بولس الرسول :

« لى الحياة هى المسيح » (فى ١ : ٢١)

البعض حياتهم هى الأسرة والمركز والمال والزواج والأولاد ، ومتع الرفاهية ، فإن لم يكن له كل هذا ، يقال عنه إنه لم يدخل الدنيا بعد ، ولم يتمتع بالحياة ، وما زال على الهامش . يقولون عنه بالعامية « فلان ده مش عايش » .

أما الذى يقول « لى الحياة هى المسيح » فإنه يستطيع أن يقول بعدها « والموت هو ربح » ...

يستطيع أن يقول « لى اشتاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً » (فى ١ : ٢٣) . بل يستطيع أن يقول أيضاً « من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟ ! أشدة أم ضيق أم اضطهاد ، أم جوع أم عرى ، أم خطر أم سيف ؟ ... ولكننا فى هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذى أحبنا » (روم ٨ : ٣٥ ، ٣٧) .

٤ - هناك اختبار آخر تستطيع أن تجرب به مدى علاقتك بالله ، وذلك في ضوء الوصية التي تقول :

« تحب الرب إلهك من كل قلبك ... » (تث ٦ : ٥) .

قد تحب الله من قلبك ، هذا جائز . ولكن هل أنت تحبه من كل قلبك ؟ أى هل تعطى القلب كله له ، والحب كله له ؟ من منكم استطاع أن ينفذ هذه الوصية ؟

من الذى كل مشاعره وعواطفه مركزة في الله ؟ هو نصيبه هنا على الأرض ، وهو نصيبه أيضاً في الأبدية . وهو الذى يملأ حياته وفكره وقلبه ... إن كان الله قد ملك على كل قلبك ، فإن العالم كله يصبح بالنسبة إليك وكأنه « صفيحة زبالة » ، كومة من القمامة لا قيمة لها ... وتنظر إلى كل متع العالم ، كما نظر إليها سليمان الحكيم من قبل ، فقال « باطل الأبطيل ، الكل باطل وقبض الريح » (جا ١ : ٢ ، ١٤) ... المال ، الجاه ، السلطان ، الألقاب ، الشهرة ... الكل باطل ... الجمال ، المظهر ، العظمة ، المتعة ، البيت ، الأولاد ... الكل باطل ... و يصبح الله هو الكل ، ولا شيء إلى جواره . إهدأ إذن إلى نفسك ، وافحص علاقتك بالله جيداً :

ما موقعك ، وما موضعك ، على خريطة الله ... ؟ !

وما هو دورك في حياته وفي شعورك ؟ قل لنفسك : هل الله يشبعني ؟ أم لا ؟ كنه ، بحيث يمكنني أن أكتفي به ، وأكون سعيداً في اكتفائي . لا أشعر شيء ينقصني ؟ هل أنا فرح القلب بالرب ، سعيد أنى وجدته ؟ أغنى الله في كل يوم أغنية جديدة ... هل إسم الرب محبوب في في ؟

هل الرب هو أحلامي بالليل ، وآمالي في النهار؟

هل هو عاطفتي الملتهبة ؟ هل هو سبب خفقات قلبي ؟ هل هو

حياتي ؟ هل هو يدل ذاتي بالنسبة لي ؟ ما مركزه بالضبط في داخلي ؟

أنت محتاج بين الحين والآخر أن تراجع نفسك ، وترى أين أنت

سائر ، وهل لك هدف ، وهل هدفك هو الله ؟ وهل هو نصيبك حقاً الذي

ارتضيت به ؟ وهل هو كذلك على الدوام ؟ أم بين الحين والحين ، تبرز

إحدى الرغبات لكي تأخذ مكان الله في قلبك ، وتصير هي نصيبك في

الحياة ، ولو في فترة معينة ... ؟!

أنظر إلى داود ، لترى ماذا كان الله بالنسبة إليه :

إنه يقول « قوتي وتسبحتي هو الرب » (مز ١١٨) . ويقول « الرب

راعيتي ، فلا يعوزني شيء » (مز ٢٣) . الرب إذن هو قوته وتسبحته

وراعييه . وماذا أيضاً ؟ يقول « إلهنا ملجأنا وقوتنا ، ومعيننا في شدائدنا

التي أصابتنا جداً » (مز ٤٥) . ويتابع الكلام فإذا الله حصنه ، وترسه ،

ومجّنه . وهو ربه وإلهه ، بل أنه يذوق الرب ، ويظر ما أطيّبه ... الله

بالنسبة إليه هو كل شيء .

وكل الذين اتخذوه نصيبهم ، يجدونه لهم كل شيء .

إنهم لا يقاتلون . فالكتاب يقول لهم « الرب يقاتل عنكم وأنتم

تصمتون » (خر ١٤ : ١٤) .

وهم لا ينكمشون من أنفسهم ، بل روح أبيهم هو الذي يتكلم فيهم

(مت ١٠ : ٢٠) . هو يعطيهم فماً وحكمة ، لا يستطيع جميع معانديهم أن

يفاءوموها (لوا ٢١: ١٥). هو الذى يقودهم فى موكب نصرته (٢ كو ٢ : ١٤)، وهو الذى يظل عليهم بجناحيه . هو الأب ، وهو الحبيب . وهو الصديق ، وهو الرفيق فى الطريق ...

هو القلب الوحيد ، المضمون فى حبه وإخلاصه ...

قد لا نضمن عواطف ومشاعر كل من نخالطهم من الناس ، ولا نضمن إخلاصهم فى كل الظروف ، ولا ثباتهم فى محبتهم ، فقد يتركون محبتهم الأولى ...

أما الله فهو الوحيد المضمون ، الذين إن كنا نحن غير أمناء من نحوه ، يبقى هو أميناً (٢ تي ٢ : ١٣) ... إن نسيت الأم رضيعها ، فهو لا ينسانا ، هذا الذى قد نقشنا على كفه ، وحتى جميع شعور رؤوسنا محصاة عنده ، لا تسقط واحدة منها بدون إذنه ... كيف لا نحب إلهاً مثل هذا ، ليس له شبيه بن (الآلهة) ... ؟!

هل الله هو مصدر الخيرات ، أم هو الخير ؟

المبتدئ فى الحياة الروحية وفى العلاقة مع الله ، قد ينظر إلى الله على اعتبار أنه مصدر الخير ، وهو كذلك فعلاً مصدر كل الخيرات . ولكن الذى صار الله نصيبه ، يرى أن الله هو الخير ذاته ، وهو الخير الوحيد ... إنه لا يبحث عن النعيم خارجه ، أو كمكافأة منه ، إنما يرى أن الله هو النعيم الحقيقى الذى نتمتع به .

إنه كل شئ فى الأبدية . وليست الأبدية نعيماً سواه .

إنه هو شجرة الحياة التى نتغذى بها ، وهو المن المخفى ، هو خبر الحياة .

هو ماء الحياة الذى كل من يشرب منه ، لا يعطش إلى الأبد . هو الحياة
ذاتها ، من يثبت فيه يثبت في الحياة . وهو الحق ، من يعرفه يعرف الحق ،
والحق يحلله . هو البور الحقيقى الذى ينير لكل إنسان . وهو الحكمة ، وهو
المتعة الحقيقية .

إن الله سوف لا يمنحنا شيئاً معيناً يسعدنا في الأبدية ، بما هو نفسه
الذى يسعدنا . وكل من يقترب منه ، يقترب من السعادة ، ومن يذوقه
يذوق السعادة والحب ...

أترانا ، حتى في الأبدية ، سننسى بئس غبر الله ، أو يسعدنا شيء غير
الله ؟! حاشا ، فالله الذى اختراها نصيبنا هنا ، سيكون هو نصيبنا أيضاً
هناك ...

أما كيف تكون متعتنا الدائمة به ، فهذا سر الملكوت ...

هذا هو « ما لم يخطر على قلب بشر » ، لأن كل ما نتمتع به على
الأرض في صلتنا بالله ومذاقتنا له ، سوف لا يقاس مطلقاً بالمجد العتيد أن
يستعلن فينا ، حينما نعرفه المعرفة الحقيقية وننمو كل حين في معرفته ، فقد
قال الإبن للآب « هذه هي الحياة الأبدية ، أن يعرفوك ... »
(يوحنا ١٧ : ٣) .

إن كان الله هكذا هو نصيبك ، فلا يمكن أن تخطيء ...

إن كان الله مالئاً كل قلبك وفكرك ، وإن كان هو كل حبك وكل
هدفك ، فكيف يمكن إذن أن تخطيء ؟! ... أمر غير معقول ، لأن الخطيئة
هي انحراف عن محبة الله ، إلى محبة أخرى ضده . ولكن إن كان هو

نصيبك ، وهو كل هدفك وآمالك ، وهو كل اشتياقات قلبك . إذن لا تستطيع حينئذ أن تخطيء . والشرير لا يمسك . بهذا أولاد الله ظاهرون (١يو ٣ : ٩ ، ١٠) .

إن محبتك لله ، لا تعطى مجالاً إطلاقاً لأية خطية . وهنا لست محتاجاً إلى تداريب كثيرة على وصايا عديدة . تكفيك محبته ، فهي تدريبك الوحيد .

وهنا يظهر الفرق بين الناموس والنعمة ...

الذى مازال تحت الناموس ، يجاهد بكل قوة لكي ينفذ الوصية . أما إن دخل في نطاق الحب الإلهي ، وصار الله نصيبه ، حينئذ يحرره الحب من عبودية الناموس . فيفعل كل خير من خلال محبته لله . ومن خلال محبة الله ، يحب الفضيلة أيضاً ، ويحب الوصية ، ولا تصير وصايا الله ثقيلة عليه ، ولا تحتاج منه إلى مجهود ...

إن النعمة لم تلغ الوصية ، ولم تنغ الناموس . ولكن كل الوصايا قد دخلت في دائرة الحب ، وأصبح تنفيذها في مجال التعبير عن هذا الحب . ولم تعد أوامر ونواهي . فالرب يقول « من يحبني ، يحفظ وصاياي » . شيء طبيعي من نتائج الحب .

وهكذا إن صار الله نصيبك ، لا تعرج بين الفرقتين ...

لا تكن مع الله في يوم ، وبعيداً عنه في يوم آخر . فالقلب الثابت في الحب ، لا يتزعزع ، ولا ينحرف ، ولا يتحول عن هدفه الإلهي . ولذلك يقول لنا الرب « إثبتوا في محبتي » (يو ١٥ : ٩) ، « إثبتوا فيّ ، وأنا فيكم ،

كما يثبت الغصن في الكرمة ، و يأتى بثمر» (يوحنا ١٥) .

فهل أنت تشبه هذا الغصن الثابت في الكرمة ...

هذا الغصن الذى تسرى عصارة الكرمة في عروقه وتعطيه حياة ، وهذا الثبات يشابه لكرمة في كل شىء ، و يعطى ثمر الكرمة ذاتها ...
هذا الغصن صارت الكرمة نصيبه ، إن انفصل عنها ، انفصل تماماً عن الحياة ، وجف ومات وألقى إلى الحريق . أما في ثباته في الكرمة ، فإنه يستعش ويحيا ، و ينمو أيضاً . وهكذا قال الرب « أنا الكرمة وأنتم الأغصان » (يوحنا ١٥ : ٥) .

وهذا إن كان الله نصيبك ، فإنه يكون داخلك ...

مثل عصارة الكرمة التى تكون داخل الغصن . ومثلما قال الرسول « أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله ساكن فيكم » (١ كو ٦ : ٣) . وإن كان الله فيك ، فلست تبحث عنه خارجاً ... إن قيل لكم نه هنا أو هناك ، فلا تصدقوا (مت ٢٤) . إنه داخلكم « أنا فيهم » (يوحنا ١٧ : ٢٣) .

يا من اتخذت الله نصيباً ، هل تحس بوجوده فيك ؟

هل أنت ثيوفورس ، أى حامل الله ؟

هكذا تلقب القديس أغناطيوس الأنطاكي ، وهكذا كل مؤمن حقيق يسكن الله في قلبه . ويشعر بسكنى الله فيه ، حيثما أقام وحيثما هب ... إنه حامل الله .

نبتك تصلى إذب . وتفعل للرب : فلتكن أنت ياربى هو نصيبى
الوحيد ، ولا نصيب لى غيرك . خذ كل ما عندى . واعطنى ذاتك . أعطنى
فضل معرفتك . لست أريد أن أطب منك طلبات كثيرة ، فأنأ أريدك
أنت وحدك . أريد أن يفقد كل شىء قيمته فى نظرى ، وتبقى أنت القيمة
الوحيدة التى أهتم بها . فأحبك أنت الإله الساكن فى قلبى . وليس مجرد
الله الذى أقرأ عنه فى الكتب ...

أمثلة من القديسين الذين اتخذوا الله نصيباً لهم :

أ - بطرس الرسول فى قوله « تركنا كل شىء وتبعناك » (مت ١٩ :
٢٧) ، معبراً عن حالة الرسل كدهم ، الذين تركوا أهلهم وبيوتهم
وعملهم ، وساروا وراء الرب ، الذى صار نصيبهم ...

ب - بولس الرسول صار أيضاً واحداً من هؤلاء ، فى عبارته الجميلة
« خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها تافهة . لكى أربح المسيح ، وأوجد
فيه » (فى ٣ : ٨) . كل شىء فقد قيمته إلى جوار الرب فى نظر بولس ،
لذلك قال « ما كان لى ربحاً ، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة . بل
إنى أحسب كل شىء أيضاً خسارة ، من أجل فضل معرفة المسيح ربى »
(فى ٣ : ٧) .

ج - وهذا ما يقوله المزمور لكل نفس صارت عروساً للرب « إسمعى
يسرائىلى ونظرى وأميل أذنك ، وانسى شعبك وبيت أبىك ، فإن الرب قد
استهى حسنك وله تسجدين » (مز ٤٥ : ١٠) .

د - وكانت أمنا رفقة ، التى تركت بلادها وأهلها . وسافرت مع

ألعازر الدمشقي ، لتعيا مع اسحق ، رمزاً للنفس البشرية التي تترك كل
شيء لتعيا مع المسيح ، كنصيب لها...

هنا وفتذكر عبارة جميلة قالها داود النبي وهي :

« فمعل لا أريد شيئاً على الأرض » (مز ٧٣ : ٢٥) .





[٣]

معك لا أريد شيئاً

على الأرض (مز ٧٣ : ٢٥)

الذى يحب الله بعمق ، يصل إلى درجة الإكتفاء بالله ...
الله يملأ قلبه وفكره وكل أحاسيسه ومشاعره ، ويشبعه ، فيشعر
بالإكتفاء ، ويقول مع داود « فلا يعوزنى شيء » (مز ٢٣ : ١) ...
ويشعر أنه لا يستطيع أن يضيف شيئاً في قلبه إلى جوار الله . فيعيش
سعيداً مع الله ، ويقول له في حب « معك لا أريد شيئاً على الأرض » .
بهذا المثال عاش آباؤنا القديسون ، وقد أشبع الله حياتهم .

١ - ولناخذ داود النبي كمثال :

كان ملكاً ، بكل ما يحيط الملك من سلطة وعظمة في ذلك الزمان .
وكان قائداً للجيش ، وقاضياً للشعب ، ورب أسرة كبيرة . وكان محترماً
من الكل ، ومسيحاً للرب . و يبدو أنه ما كان ينقصه شيء من خيرات
الدنيا ومتعتها ... ومع ذلك ما كان شيء من هذا يشبع قلبه حقاً ، بل يلقى
بكل هذا وراء ظهره ويقول :

« واحدة طلبت من الرب وإياها ألتمس ... » ما هي هذه الواحدة التي
تنقصك أيها الملك العظيم مسيح الرب ؟ يقول « واحدة طلبت من الرب
وإياها ألتمس ، أن أسكن في بيت الرب ... وأتفرس في هيكله » (مز ٢٧ :
٤) ... هناك في هذا الموضع المقدس ، كان يطلب الرب ويقول :

« طلبت وجهك ، ولوجهك يارب ألتمس . لا تحجب وجهك
عني » (مز ٢٧ : ٨ ، ٩) .

أهذه طلبتك الوحيدة ؟ وماذا عن الملك والجيش والقضاء والأسرة
والغنى ؟ كلا يارب ، معك لا أريد شيئاً على الأرض « يا الله أنت إلهي

إليك أبكر، عطشت نفسي إليك» (مز ٦٣: ١) «إلتصقت نفسي بك»، «باسمك أرفع يدي، فتشبع نفسي كما من شحم ودسم»، «رحمتك أفضل من الحياة. شفتاي تسبحانك»، «كنت أذكرك على فراشي، وفي أوقات الأسحار كنت أرتل لك» (مز ٦٣).

إنه الحب الذي يملأ القلب، يقول فيه:

«محبوب هو اسمك يارب، فهو طول النهار تلاقى» (مز ١١٩).

وماذا عن مشغولياتك يا داود؟ إنها لا تشغلني عنك يارب. «سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام عدلك» (مز ١١٩)، «في نصف الليل نهضت لأشكرك»، «سبقت عيناي وقت السحر لأتلو في جميع أقوالك»، «كلماتك حلوة في حلقى، أحلى من العسل والشهد في فمي» (مز ١١٩).

حقاً إن الذي يحب الله، يصغر كل شيء في عينيه...

إن داود لا يغريه قصره ولا عرشه، بل يقول للرب «مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات. تشتاق وتذوب نفسي للدخول إلى ديار الرب... طوبى لكل السكان في بيتك، يباركونك إلى الأبد» (مز ٨٤: ١-٤)، «فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢: ١)، «إخترت لنفسي أن أطرح على عتبة بيت الرب» لماذا؟ «لأن يوماً صالحاً في ديارك خير من آلاف» (مز ٨٤: ١٠).

حقاً « معك لا أريد شيئاً على الأرض » ... إن هذه العبارة هي اختبار حقيقى للقلب ومدى علاقته بالرب . لنأخذ مثلاً آخر :

- أبونا إبراهيم ، بهذا الاختبار كانت دعوته ...

لما دعاه الله ، قال له « إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك ، إلى الأرض التى أريك » (تك ١٢ : ١) . وترك إبراهيم وطنه وعشيرته وبيت أبيه ، وقال للرب فى قلبه « معك لا أريد شيئاً على الأرض » . وخرج وراء الرب ، وهو كما يقول الرسول « لا يعلم إلى أين يذهب » (عب ١١ : ٨) ، يكفيه أنه كان ذاهباً وراء الرب .

لم يهتم بالمكان الذى يذهب إليه ، ما هو وأين هو ، إنما كان تفكيره فى الرب الذى يذهب معه .

لما صاحبه تارح أبوه ، تعطل بسببه بعض الوقت فى حاران (تك ١١ : ٣١) . ولما صاحبه لوط ابن أخيه ، حدثت محاصمة بين رعاة هذا وذاك . ولما فارقه واختار أخصب أرض فى المنطقة بدأت البركة تتضاعف على ابرآم .

كيف تعيش يا ابرآم ، وقد أخذ لوط أرضاً « كجنة الله كأرض مصر » (تك ١٣ : ١١) . وترك لك القفر ؟ يقول ابرآم : أنا مع الله ، لا أريد شيئاً على الأرض . يكفينى الرب ونعمته . وفعلاً باركه الرب ، وقال له « إرفع عينيك وانظر ... جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها ... » (تك ١٣ : ١٤-١٧) . وعاش ابرآم غريباً ، عقيماً ، ولكن مع الرب .

غربته كانت تتمثل في حياة الخيمة ، وعلاقته بالرب كانت تتمثل في المذبح الذى يبنيه في كل موضع .

وهذا الرجل الغريب ، المكتفى بالرب ، هو الذى خلص لوطاً من السبي (تك ١٤) ، واستقبله ملك سادوم ، وملك ساليم ، ملكى صادق الذى باركه (تك ١٤ : ١٨) .

ولكن هل حدث في وقت ما ، أن مبدأ « معك لا أريد شيئاً على الأرض » إهتز في قلب أبينا إبرام ولو قليلاً ؟ نعم ، حدث أنه انتهى أن يكون له ابن ...

ولما انتهى أن يكون له ابن ، وقع في تجارب ...

تجربة هاجر (تك ١٦) ، وتجربة قطورة (تك ٢٥) . وحتى لما ولد له إسحق من سياره ، أتته تجربة أخرى ، إذ اختبره الله فيه ، وقال له « يا إبراهيم ... خذ ابنك وحيدك الذى تحبه ، إسحق ... وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » (تك ٢٢ : ٢) . وإذا بإبراهيم الذى عاش بمبدأ « معك لا أريد شيئاً على الأرض » ، إبراهيم الذى يحب الله الحب كله ، أخذ إسحق ابنه ، وبكر صباحاً جداً ، وأخذ معه الحطب والسكين . وربط ابنه فوق الحطب ، ورفع السكين ليقدمه ذبيحة ... لذلك بارك الله هذا الإنسان الذى أحبه أكثر من ابنه الوحيد ، وبنسله تباركت جميع قبائل الأرض .

كان قلب إبرام مُركّزاً في الله ، أكثر مما في إسحق ...

قال السيد المسيح « ... ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى ، فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٧) ، ونفذ أبونا إبراهيم هذه الوصية قبل أن يقولها المسيح بأجيال طويلة ...

كان الله بالنسبة إليه أكثر من العشيرة والوطن والأهل والإبن الوحيد ... إنها فضيلة للإنسان أن يحب أهله ، ولكنهم لا يكونون شركاء الله فى قلبه .

داخل محبة الله ، نعم . ولكن إلى جوارها ، لا ...

الإنسان الروحى يحب جميع الناس كجزء من محبته لله . ولكنه لا يحب أحداً ، يشارك الله فى حبه ، أو ينافس الله فى حبه ، أو يجلس فى القلب إلى جوار الله !

الله لا ينافس أحد فى الحب ، ولا ينافس شىء ...

ولذلك فمحبة الحقيقية نحو الله يلزمها التجرد . وفى هذا قال الكتاب « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب ... والعالم يمضى وشهوته معه » (١ يوح ٢ : ١٥ ، ١٧) . وقيل أيضاً « محبة العالم عداوة لله » (يع ٤ : ٤) ، لا يستطيع أحد أن يعبد ربين أو يخدم سيدين . إما الله ، وإما العالم ... وقد قال الكتاب فى ذلك :

« أية شركة للنور مع الظلمة » (٢ كو ٦ : ١٤) .

الله هو النور الحقيقى . وكل ما هو خارج الله ظلمة . كل ما يتعارض مع الله ومحبته ظلمة . ونحن قد دعينا أن نكون أبناء النور ، لا نشترك فى أعمال الظلمة ...

والظلمة متفاوتة في درجاتها ، أبشعها الخطية . على أن التفاهات أيضاً
والماديات ، إن كانت تبعدنا عن الله فهي ظلمة أيضاً ، ليس لنا أن
ندخلها إلى قلوبنا .

ويبقى الله وحده ، ومعه لا نريد شيئاً على الأرض . نحارب كل شهوة
وكل فكر فيها تعطيل لمحبة الله . ويبقى الله وحده ، كما تقولون في
الترتيلة :

ليس لي رأى ولا فكر ولا شهوة أخرى سوى أن أتبعك

لهذا فأولاد الله ، قد يملكون المال ، ولكنه لا يملكهم ...

قد يستعملون العالم ، وكأنهم لا يستعملونه (١ كو ٧ : ٣١) ، « لأن
هيئة هذا العالم تزول » . فلا يوضع العالم إلى جوار الله .

٣ - مثال آخر نذكره هنا ، هو لوط ، ثم إمرأته ...

لوط لم يصل إلى التجرد الذي يحب فيه الرب من كل القلب ، والذي
يقول فيه « معك لا أريد شيئاً من العالم » . لذلك إختار الأرض المعشبة ،
ولم يختار المكان الذي يستطيع فيه أن يحيا مع الله ! فماذا كانت النتيجة ؟
كانت أنه سبي (تك ١٤) ، وفقد كل أملاكه . ثم أنقذه إبراهيم . وأيضاً
لوط لم يتعلم درساً ، وكان البار يعذب نفسه يوماً فيوماً بمناظر الأشرار .
وأخيراً فقد كل شيء في حرق سادوم .

وهنا ظهرت توبة لوط ورجوعه إلى الله . فلما دعاه الملاك أن يخرج
من المدينة وهرب إلى الجبل (تك ١٩) ، لم يقل أملاكى وأغنامى ومالى
وأنسبائى ، إنما رضح أخيراً وقال للرب « معك لا أريد شيئاً من العالم » .

وخرج من سادوم صفر اليدين لا يملك شيئاً ، يكفيه الرب الذى سيبدأ معه من جديد ، من لا شيء ...

أما زوجة لوط ، التى لم تدخل إلى قلبها عبارة « معك لا أريد شيئاً من العالم » فقد نظرت إلى الورا ، إلى العالم الذى تعلق به قلبها ، فصارت عمود ملح ... صارت درساً لكل من يضع إلى جوار الله شهوة أخرى يتعلق بها ...

٤ - من الأمثلة الجميلة : تلاميذ المسيح ورسله ...

سمعان وأندراوس اللذان « تركا شباكهما وتبعاه » (مر ١ : ٢٨) . ويوحنا ويعقوب ابنا زبدي ، اللذان « تركا أباهما زبدي فى السفينة مع الأجرى وذهبا وراءه » (مر ١ : ٢٠) . ومتى الذى ترك مكان الجباية ، ولم يحفل بمسئوليته . والباقون الذين تركوا بيوتهم وزوجاتهم . وقلب كل منهم يردد عبارة « معك لا أريد شيئاً على الأرض » . وبولس الرسول ، الذى ترك مركزه الكبير وسلطته ، وتحمل الآلام لأجل المسيح ، قائلاً : « خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح » ، هكذا أيضاً كانت تربطه بالرب عبارة « معك لا أريد شيئاً على الأرض » .

كلهم ، بعد أن تركوا كل شيء ، لم يندموا على شيء ... شعور كل منهم : كيف أريد شيئاً من العالم ، بعد أن أشرق على قلبى هذا النور العظيم ، وبعد أن تعرفت على الرب ، الذى هو أسمى من كل شيء ، الذى وهبته قلبى ، فصرت أنا كلى له ، وصار هولى .

٥ - مثال آخر ، هو الرهبان ، وتاجر الجواهر ...

الرهبان الذين عاشوا حياة التجرد الكامل ، حياة النسك والزهد ، لا يمكنون شيئاً ، بل قد نذروا الفقر الإختياري ، وارتفعوا فوق مستوى البيت والأولاد ، وفوق مستوى المادة ، وجالوا في البراري والقفار ، معتازين هؤلاء من عظم محبتهم للملك المسيح ، قالوا له « معك لا نريد شيئاً من العالم » ...

منهم أمراء تركوا الملك ، مثل الأميرين مكسيموس ودوماديوس . وأصحاب مناصب كبيرة تركوا مناصبهم ، مثل الأنبا أرسانيوس معلم أولاد الملوك . وأغنياء تركوا غناهم مثل العظيم الأنبا أنطونيوس . ومتزوجون تركوا زوجاتهم مثل الأنبا آمون والأنبا بولس البسيط ... كلهم قالوا للرب « معك لا نريد شيئاً على الأرض » ...

لعل هذا يذكّرنا بمثل التاجر الذي قال عنه السيد المسيح « يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لألىء حسنة . فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن ، مضى وباع كل ما كان له واشتراها » (مت ١٣ : ٤٥ ، ٤٦) . هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن ، هي الحياة مع الله ، وعشرته والتمتع به ، التي من أجلها يبيع الإنسان الحكيم كل ما يكون له ، ويقول للرب « كفيني أنت ، معك لا أريد شيئاً على الأرض » ...

ما أجل المبدأ الرهباني : الإنحلال من الكل ، للإرتباط بالواحد .

أى أن القلب ينحل من كل شيء ، ومن كل أحد ، لكى يرتبط بالواحد الذى هو الله . وهذا الواحد ، هو الذى يشبعه ويملا كل كيانه . ويكون سبب سعادته وفرحه . هكذا عاش الآباء ، بفكر منشغل بالله وحده ...

٦ - مثال مريم ومرثا ...

زارهما السيد المسيح فى بيتها . فانشغلت عنه مرثا بشئون الضيافة . وهى تظن أنها تفعل خيراً من أجله . أما مريم فجلست عند قدميه ، تتأمله وتستمتع إليه . مركزة كل عواطفها فيه . ولسان حالها يقول « معك لا أريد شيئاً على الأرض » . وقد طوبها السيد المسيح بقوله عنها إنها اختارت النصيب الصالح . أما مرثا فقال لها الرب : أنت نهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، والحاجة إلى واحد (لو ١٠ : ٤١) . لعل مرثا ينطبق عليها قول ذلك الأديب الروحى :

« قضيت عمرك تخدم بيت الرب ، فتنى تخدم رب البيت »

حتى الخدمة لا يجوز أن تشغلنا عن عشرتنا بالرب ، كما سنشرح فى صفحات مقبلة إن شاء الله . أما الآن فننتقل إلى مثل آخر هو :

٧ - موسى النبي ، بين القصر والبرية ...

موسى النبي كان يعيش فى قصر ملكى ، وكان معتبراً أحد الأمراء ، ابن إبنة فرعون ، وكان يحيط به الغنى والجاه والسلطان . ولكن كل ذلك لم يدخل إلى قلبه ، بل كان قلبه متعبقاً بملكوت الله . لذلك وضع فى قلبه أن يعيش للرب و يقول له « معك لا أريد شيئاً من العالم » « حاسباً عار

المسيح غنى أعظم من خزائن مصر» «مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله ، على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية» (عب ١١ : ٢٥ ، ٢٦) . وهكذا عاش مع الله كراعى غنم في البرية ، وكتائه مع الشعب في سيناء ، تاركاً متع الحياة في قصر فرعون ، فع الله ما كان موسى يريد شيئاً على الأرض ... لذلك استحق أن يكون كلم الله ، وأميناً على كل بيته (عد ١٢ : ٧) ، «فأ إلى قم وعياناً يتكلم الله معه ، وشبه الرب يعاين» . هكذا صارت علاقته مع الله ...

ولأنه مع الله لم يكن يريد شيئاً على الأرض ، لهذا صار له الله نفسه ، يتحدث معه أربعين يوماً على الجبل ، و يصيره وسيطاً بينه وبين شعبه ، و يقبل شفاعته فيهم ، بل يجعله ينير معه على جبل طابور في التجلي .

٨ - مثال آخر نتعلمه من أخطاء سليمان ورجوعه ...

كان سليمان ملكاً عظيماً جداً ، أعطاه الرب عظمة وجلالاً ملكياً أكثر من جميع الذين كانوا قبله في أورشليم ، ومنحه حكمة . ولكن سليمان على الرغم من حكمته لم يقل للرب «معك لا أريد شيئاً على الأرض» ، بل إنه على عكس ذلك قال «بنيت لنفسي بيوتاً ، غرست لنفسي كروماً ، عملت لنفسي جنات وفراDIS ... عملت لنفسي برك مياه ... قنيت عبيداً وجواري ... جمعت لنفسي أيضاً فضة وذهباً وخصوصيات الملوك والبلدان ، واتخذت لنفسي مغنيين ومغنيات ، وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات ... ومهما اشتتهه عيناي ، لم أمسكه عنها» (جا ٢ : ٤-١٠) .

وفرّح سليمان بكلّ تعبّه هذا ، الذى لم يكن مصدره الله ، ولا محبته وعشرته . وفى كلّ ذلك أخطأ ، حتّى أصبح موضوع خلاص سليمان تحيطه علامة استفهام كبيرة ... ! وماذا عن كلّ تعبّه ؟ لقد صار كلّ هذا التعب باطلاً ، وذكرنا قصته بلوط فى سادوم .

حصاد السنين كنه ، الذى أضاعه لوط فى نار سادوم : السعى وراء الأرض المعشبة ، ولو أدى ذلك إلى ترك مذبح إبراهيم وعشرته ، الكد والكفاح من أجل الثروة ، احتمال البيئة الفاسدة وعثراتها والتزاوج مع الأشرار ... كلّ ذلك حرّقه النار ، وخرج منه لوط بلا شيء ... تماماً مثل كلّ تعب سليمان ، الذى ختمه بعبارة « الكل باطل وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس » ... حملاً إن العلاقة مع الله هى الثابتة والخالدة ، وهى النافعة فى هذا العالم وفى العالم الآخر . وماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كنه وخسر نفسه ؟ !

٩ - إن أعظم مثال بشرى نضعه لعبارة « معك لا أريد شيئاً على الأرض » هو مثال آبائنا الشهداء ...

الذين أحبوا الله ، ليس فقط أكثر من كلّ متع الأرض ، وإنما أكثر من الحياة ذاتها . فقدموا حياتهم من أجله ، واثقين بأن هذه الحياة لها امتداد معه هناك فى الأبدية . وهكذا تركوا الدنيا كلّها بكلّ ما فيها ، ومعه لم يريدوا شيئاً على الأرض ، ولا حتّى أن يعيشوا فيها ...

إن الذى يحب الله ، ويكتفى به ، يكون مستعداً أن يترك أى شيء من أجله ، أو كلّ شيء من أجله ...

١٠ - والذي يترك من أجل الرب ، يعوضه الرب أضعافاً ...

هوذا الرب يقول « كل من ترك بيوتاً ، أو أخوة أو أخوات ، أو أباً أو أمّاً ، أو امرأة أو أولاداً ، أو حقولاً ، من أجل إسمي ، يأخذ مئة ضعف ، و يرث الحياة الأبدية » (مت ١٩ : ٢٩) . هذا من جهة الجزاء . على أن الذين يتركون شيئاً من أجل الرب ، إنما يتركونه ليس من أجل الجزاء ، إنما من أجل محبتهم للرب ، لتي مكنت كل قلوبهم ، بحيث زهدوا كل شيء ، وقالوا للرب : معك لا أريد شيئاً على الأرض .

١١ - هذه العبارة ليست في مجال الحب فقط ، إنما المعونة أيضاً ...

بهذه العبارة استطاع يعقوب الضعيف الخائف ، أن يتماس مع أخيه عيسو القوي العنيف ، الذي كان معه أربع مئة رجل (تك ٣٢ : ٦) . أم يعقوب فلم يكن معه مثل هذا الجيش ، وليس غير نسائه وأولاده وعبيده وإمائته . ولكن كانت له هذه الصلاة « نجني من يد أخي ، من يد عيسو ، لأنني خائف منه ... و أنت قلت لي : إني أحسن إليك ، وأجعل نسك كرم البحر » (تك ٣٢ : ١١ ، ١٢) . أنا أعتمد على قوتك أنت يارب ، ومعك لا أريد شيئاً على الأرض .

الإنسان الروحي يرى أن الله هو راعيه وحاميه وحافظه :

إن أحاطت به مشكلة ، يحيلها إلى الله ، فإله هو الذي يحل مشاكه ، وليس هو . يقول للرب : من أنا ، وما هي قوتي ، وما هو فهمي حتى أحل مشاكلي ؟ أنت يارب تعرف مشاكلي أكثر مني ، تعرف الخفيات

والظاهرات ، المشاكل الواضحة لى ، والمشاكل المستترة عني ، والمشاكل المقبلة فى الطريق .

بحمكتك يارب تستطيع أن تحمل كل مشكلة . وبمحبتك تريد ، لأنى أثق تماماً أنك تحببى أكثر مما أحب نفسى ، وتحرص على أكثر مما أحرص على ذاتى . أنا طفل أمامك « وحافظ الأطفال هو الرب » (مز ١١٦ : ٦) . لذلك أترك كل شىء فى يديك ، وأستريح بالإيمان ، واثقاً أنه عندك حلول كثيرة ، واثقاً بأنه « إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً تعب البناءون . وإن لم يحرس الرب المدينة ، فباطلاً سهر الحراس » (مز ١٢٧ : ١) .

ما دمت ياربى ترى تعبى ، فهذا يكفينى . أنت يا ضابط الكل ، الذى تحفظ العدل على الأرض ، وأنت مريح التعبى ، تحمل أوجاعنا وآلامنا . لست أشغل نفسى مطلقاً بمشاكلى ، إنما أتركها فى يديك « ومعك لا أريد شيئاً على الأرض » ..

الذى يلتقى بالله ، لا يحتاج لقوة خارجية . قوته هى الله ...

لذلك فهو يقول مع المزمور « قوئى وتسد » هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً » (مز ١١٨ : ١٤) . قوته هى الرب نفسه . لا أسلحة العالم ، ولا المعونة البشرية « فالإتكال على الرب خير من الإتكال على البشر » (مز ١١٨) .

ولهذا يقول المزمور أيضاً « إلهنا مدجأنا وقوتنا ، ومعيننا فى شدائدنا التى أصابتنا جداً ... الرب إله القوات معنا . ناصرنا هو إله يعقوب » (مز ٤٦ : ١ ، ٧) .

هذا الذى يرى أن قوته هى الله نفسه ، لا يتكبر على تبارك وتعالى
مواهبه وذكائه وإمكانياته ، ولا يتكل على ذراع بشرى ، أو على حسن
بشرية . إنما يكفيه الله وحده ، يحارب به ، وينتصر به ، ويقوده الرب فى
موكب نصرته .

لا يفكر كيف يتكلم ، فالله هو الذى بنكم على فمه « لستم أنتم
تتكلمون . بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » (مت ١٠ : ٢٠) . ولستم
أنتم الذين تدافعون عن أنفسكم ، بل « هموا وانصروا خلاص الرب . الرب
يفاتل عنكم وأنتم تصمتون » (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) . الرب هو قوة لكم .
وهو خلاص لكم . والذى يكتفى بالله ، لا تعوره قوة أخرى . بل يفوز
للرب « معك لا أريد شيئاً على الأرض » .

١٢ - وهذا المبدأ تقدم داود الصبي لمحاربة جليات الجبار...

شاوول الملك قدم لداود الأسلحة والملابس الحربية ، ولكنه تركها ولم
يستعملها . وتقدم بن حليات قائلاً « أنت تأتى إلى بسيف ورمح
وبترس ، وأنا أتى إليك باسم رب الجنود » (١ صم ١٧ : ٤٥) . نعم
يارب . أنا لا أملك أسلحة مثله . ولكن معى إسمك وقوتك . ومعك لا
أريد شيئاً على الأرض ... وحارب داود بهذه القوة الإلهية التى أغنته عن
كل أسلحة الحرب ، لأن الحرب للرب (١ صم ١٧ : ٤٧) . وهو الغالب
فى الحروب .

١٣ - وجدعون فى هذا الأمر ، علمه الرب درساً ...

لقد جمع ٣٢ ألفاً لكى يقاتل جيش المديانيين ، ولكن الرب رأى هذا

العدد كثيرًا ، مثلاً الشعب إذا انتصر ، يظن أنه بفتوه وعدده قد انتصر وليس الرب (قضا ٦ : ٢) . وهكذا ظل الرب ينقص العدد وينفيه حتى وصل إلى ثلاثمائة فقط ، حارب بها جدعون وغيب ، لكي يعرف أن القوة هي من الله ، وما دام الله معه ، فلا يحتاج إلى قوة جيش لكي ينتصر ، إنما معه لا يريد شيئاً على الأرض ، لا يعد قوة بشرية إلى جوار الله .

١٤ - ومع الله أيضاً ، لا نحتاج إلى حكمة بشرية ...

كثيراً ما يعتمد الحكماء على حكمتهم وفهمهم ، وليس على الله الذي يقول « وعلى فهمك لا تعتمد » (أم ٣ : ٥) . لذلك إن سرت مع الله ، فلا تبحث عن ذكرك أو حكمتك ، لأن الله « إحتار جهال العالم ، ليخزي بهم الحكماء . واختار ضعفاء العالم ليخزي بهم الأقوياء ... لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه » (١ كو ١ : ٢٧-٢٩) .

إن داود النبي ، الذي قال « ومعك لا أريد شيئاً على الأرض » . قال قبل ذلك مباشرة ، في نفس المزمور « وأنا بئيد ولا أعرف . صرت كبحيم عندك ، ولكني معك في كل حين . أمسكت بيدي اليمنى . برأيك تهديني . وبعد إلى مجد تأخذني ... » (مر ٧٣ : ٢٢-٢٤) . ليس حكمتي هي التي تهديني إليك ، إنما أنت تمسك بيدي ، وبرأيك تهديني . ومعك لا أريد شيئاً ...

١٥ - مرفس الرسول في كرازته ، كان مثلاً أيضاً ...

جاء يكرز في مصر ، بلا أية معونة بشرية ، وبلا أية إمكانيات . لم تكن له فيها كنائس ، ولا مؤمنون ، ولا أية إمكانيات مادية . وعلى

العكس كانت هناك عوائق من الذنوب الراسخة ، ومن الفلسفات
الفوقية ، ومن السطة الرومانية... ولكن مارمرقس الذى دخل
الإسكندرية ماشياً ، وبخذاء مفلطح ، قال للرب فى كرزته « معك لا
أريد شيئاً على الأرض » ... وقد كان . وبمعونة الرب وحده ، تمم هذا
لرسول خدمته ، وكرز بالكلمة ، وأوجد لله شعباً...

١٦ - وكذلك أيضاً الرسل الإثنا عشر فى خدمتهم...

أرسلهم الرب بلا كيس ولا مزود ، بلا ذهب ولا فضة ولا نحاس فى
مناطقهم (مت ١٠) . ومع ذلك لم يعوزهم شيء . لكى يستطيع كل
رسول منهم أن يقول للرب « معك لا أريد شيئاً على الأرض » .
وعند باب الجليل ، لم يكن مع بطرس شيء يعطيه للمتسول
الأعرج . ولكنه قال له : الذى لى إياك إعطيه : باسم يسوع الناصرى قم
وامش (أع ٣ : ٦) ... وهكذا كان اسم الرب كافياً ، ومعه لا يريد
رسول شيئاً على الأرض .

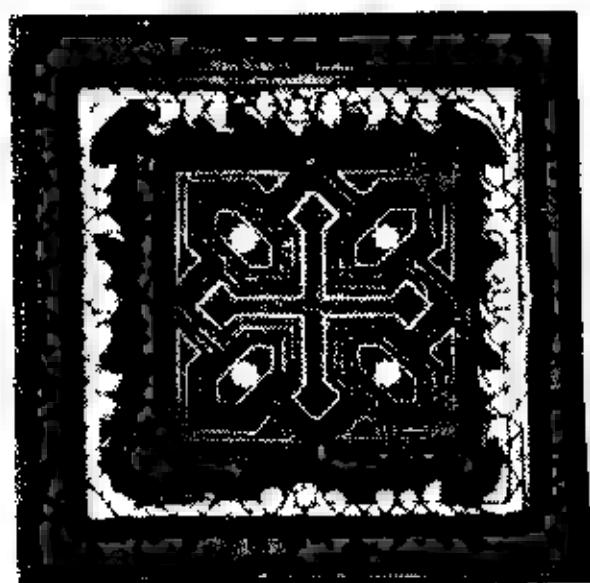
١٧ - حتى الذات لا نريدها أيضاً...

فى الخدمة ، يكفيك الرب ، لست تحتاج إلى ذهب ولا فضة ، ولست
تحتاج إلى حكمة بشرية ، يكفيك الرب الذى يعطيك فهاً وحكمة... وحتى
ذاتك أيضاً لست تحتاج . فقد قال الرب « من أراد أن يتبعنى ، فليترك
داته » (مر ٨ : ٣٤) .

بل قال أيضاً « من أضاع نفسه من أجلى ، يجدها »
(مت ١٠ : ٣٩) .

إذن قف أمام الله مجرداً من كل شيء ، تكفيك نعمته . قل له في
إيمان وثقة « معك لا أريد شيئاً على الأرض » ، « صرّ كبهيم عندك »
وأنا لا أعرف ولكن يكفيني « إنني معك في كل حين » .

وكن هبل أنت حفاً لا تريد سوى الله . أم لك أشياء أخرى
ـ سـدها ؟ ... إن كان لك ما تريد إلى جوار الله ، فهذا مثل خطورة في
حياتك . فما هي ؟ ...



[٤]

نقط الضعف والبدائل

أنت تريد أن تكون سعيداً في حياتك . وللسعادة أسباب . فهل الله هو سبب سعادتك وهو مصدرها ؟ أم أن هناك أسباباً أخرى تسعدك بدلاً من الله .

هذه المصادر الأخرى التي تسعدك ، هي نقط الضعف فيك ، والشیطان إذا تعرف على هذه المصادر ، يحاول أن يتعبك .

إن القلب الزاهد في أمور العالم الحاضر ، هو حصن لا ينال . لا يستطيع الشيطان أن يجد مدخلاً إليه ، ينفذ منه . ولكن الشيطان يرقبك ويرى ماذا تحب ، وماذا تشتهي ، وماذا يسعدك ؟ لكي يمسكك منه . بل هو أحياناً يعرض عليك أموراً ، فإذا استجبت لها ، تكون قد استجبت له ، فيتخذها لمحاربتك .

في الجنة عرض على أبونا الأولين ، أن يكونا مثل الله عارفين الخير والشر وفوجدت الفكرة هوى في قلوبهما ، وكانت نقطة ضعف أسقطتهما بها الشيطان .

وعلى الجبل ، حاول أن يعرف ماذا يسعد المسيح ... !

كان السيد المسيح يقضى أوقاتاً مقدسة مع الآب ، في شركة روحية . فأراد الشيطان أن يعرف : هل يوجد شيء إلى جوار الآب يسعد السيد المسيح ، فيغربه به ، أو يجذبه منه ... ! وهكذا عرض عليه تجربة الخبز : ما

رأيتك أن تحوّل الحجارة خبزاً ، فتأكل أنت ، وتطعم الناس ، وتكسب شعبية عن هذا الطريق ، وتؤدى رسالتك بهذه الطريقة كمصيح اجتماعي ؟! ورفض المسيح الفكرة ، لأن له طريقاً روحياً ، يريد به أن يطعم الناس بكر كلمة تخرج من فم الله ، لأنه قد جاء لإسباع أرواحهم لئلا تحيا هذا الخنزير... وهكذا فشلت التجربة الأولى .

فجربه الشيطان بالمناظر الروحية ، بأن يبق نفسه من فوق ، وتحمله الملائكة ، ويرى الناس فيؤمنون ! ثم جربه بالملك ، يصير له سلطان على هذه الممالك ، وينشر الخير بالقوانين الأرضية ... وفشت هاتان التجربتان أيضاً ، لأن المسيح رفضهما ، إذ قد جاء ليخلص ما قد هلك ، وذلك بالصليب .

ولم يجد الشيطان شهوة في هذا الفسب القدوس النقي . لم يجد نفطة ضعف وحدة يستخدمها . وكم قال الرب « رئيس هذا العالم يأبى ، وليس له قى شىء » . إنه قسب زاهد ، لم تسهوه ممالك الأرض ومجدها ، ولا المناظر النهره للناس ، ولا تحويل الحجارة إلى خبز . لا أعراض ولا أهداف حانية ، غير المكوت ...

لعبة الشيطان هي أن يجد شيئاً يسعد الإنسان غير الله ...

أما النفس السراعدة التى قوى الله مغاليق أبوابها ، وجعل تخومها فى سلام ، فهى هذه التى لا يعوزها شىء يستطيع العالم أن يقدمه ، بل هى مكتفية بالله .

فهل توجد فى قلبك أية شهوة أو رغبة ، يمكن للشيطان أن يتدك بها ؟

إن الشيطان مستعد أن يقدم رغبات ، حتى للنساء ...

حتى للرهبان ، الذين هجروا العالم وكل ما فيه ، وزهدوا كل شيء ،
وماتوا عن العالم ، وبذروا الفقر ، وصلى الدير عليهم صلاة الأموات ...
هؤلاء أيضاً لا ييأس للشيطان منهم ، بل يقدم لهم أيضاً رغبات
ورغبات ... وآمال ، وأشياء يحاول أن يتغنى بها لقلب ... ! يصع أشياء في
القلب إلى جور الله ...

يريد أن يخرج الإنسان من دائرة الإكتفاء بالله ...

فإذا ما للرغبات دحيت ومكبت ، نشد في سعادة الإنسان نهتز ،
و يبدأ سلامه يصعب ... و يتحول الهدف عنده ، بعدما كان هدفه هو الله ،
تصير به أهداف كثره ، و يتوه في العنيت ، و بعد عن الله ...

ويصبح الله بالنسبة إليه مجرد وسيلة لتحقيق أهدافه ...

إن أرد الله فهو لا يريد له لذته ، وإنما نحقق به أهدافاً في قلبه يحبها ،
و لا يصي ، فلا يصلي اشتيقاً لله وحياً ، وإنما يصلي لكي يطيب من الله
هذه الرغبات التي يحبها ، ولا يصبح الله مركز الحب في قلبه ، إنما مجرد
وسيلة ... !

ولنضرب بعض أمثلة لأشخاص ، إكتشف فيهم الشيطان رغبات
معينة ، أو وضع هو فيهم هذه الرغبات ، وأصحت نقاط ضعف سقطوا
بها ، ولنبدأ بالأشرار أولاً ...

١ - آخاب الملك . وشهوة التملك ...

أراد الشيطان أن يضرب آخاب الملك ضربة تعرضه لغضب الله وتقضى عليه . فعرض عليه أن يأخذ حصن نابوت ليزرعين و يضمه إلى مملكته . وأعجب آخاب بالفكرة . فسيطرت على قلبه وعلى فكره . وأقصدته سعادته وسلامه . ولم يعد يسريح إلا إذا أخذ الحقل . ورفض نابوت . وتدخلت إيزابل ... وكان ما كان من قتل نابوت . ووراثته آخاب له . وتعرضه لنعمة الله . وهذا آخاب . كانت في شهوة . تمتل نقطة ضعف . يدخل منها الشيطان ...

فما القلب المرتفع فوق مستوى الرعبات . الذي نصيبه هو الرب . والرب وحده . فهذا لا يقدر الشيطان عليه . إذ لا يجد فيه شهوة تلعب بها لعبة المنع والمنع ...

فما يقدر على الفسب . الذي تخرجه شهواته عن الله .

٢ - كانت هذه هي مشكلة يهوذا الإسخريوطي أيضاً ...

كان تلميذاً للسيد المسيح . واحداً من الإثني عشر . يعيش مع الرب . ويرى معجزاته . و يسمع تعاليمه ... ولكن السيد لم يكن له كل شيء . كانت ليهودا رغبات إلى جوار الرب وضعها في قلبه . كان يحب المال الذي يوضع في الصندوق الذي معه . لم يعد الرب هو الكل بالنسبة إليه . كما كان بالنسبة إلى الأحد عشر الباقين . وإذا لم يستطع يهوذا أن يخدم سيدين . صحنى بالرب وهلك ...

٣ - وبنفس الأسلوب ، كانت هذه هى مشكلة اليهود مع المسيح ...

كانو ينتظرون المسيا ، أى المسيح . ولكنهم ما كانوا يحبونه بذته ويركزون فيه عواطفهم ، إنما كانوا يريدونه كمجرد وسيلة لتخليصهم من الحكم لأجنبي ، من سطوة الرومان ، وليؤسس لهم إمبراطورية تعيد حكم داود وسديمان ...

كانت هناك فى قلوبهم رغبة غير الرب ، رغبة فى العمق . وما كان الرب فى قلوبهم سوى شئ جانبي لتحقيق هذه لرغبة التى هى الأساس . ولذلك حينما دخل المسيح إلى أورشليم فى يوم أحد الشعانين ، ونادوا به مكمًا ، لم ينادوا به كذلك حبًا له ، إنما حبًا لأنفسهم « ولمملكة داود الآتية » . الذات كانت هى الأساس ، والمملكة والحكم والخلاص من الأعداء ، كل ذلك كان هو الأساس ، وليس المسيح ... ولهذا ، فإنه لما أعسن المسيح أن مملكته هى مملكة روحية ، ليست من هذا العالم ، إنفضوا عنه ودبروا لقتله فى نفس الأسبوع !

وأنت ، هل الرب بالنسبة إليك هدف أم وسيلة ؟

عظمة القديسين كانت تكمن فى الإكتفاء بالله ...

كان الله هو هدفهم ، وهدفهم الوحيد ، وقد ركزوا كل عواطفهم فيه . ولم تكن لهم رغبات إلى جواره تمثل نقط ضعف يستخدمها .

كان الله هو هدفهم ، وهدفهم لوحيد . وقد ركزوا كل عواطفهم

فيه . ولم تكن لهم رغبات إلى جواره تمثل نقط ضعف يستخدمها الشيطان لإسقاطهم . لذلك سهل عليهم أن يتركوا كل شيء من أجله ، بكل رضى وفرح .

لم تكن لهم أهداف إلى جوار الله ، أو بدلاً من الله ... !

إن الأشرار لهم نقاط ضعف ، من رغبات تحاربهم ، كما ذكرنا أمثلة من آخاب ملك ، ويهوذا الإسخريوطى ، واليهود صالبي المسيح . ولكن ماذا عن أولاد الله ؟

هؤلاء يحاربهم الشيطان ببدائل ، تبدو في ظاهرها مقدسة :
ولنذكر الخدمة هنا كمثال ...

إنسان يتعرف على الله ، ويسلك في طريقه ، فيشتاق أن يخدم ... والشيطان لا يمنعه مطلقاً من الخدمة ، إذ أنه بذلك يكشف حيلته ، فيرفضها المؤمن ويقول له «إذهب عني يا شيطان» ... إنما على العكس يقول له الشيطان «إخدم ، وأنا معك» ...

ويغرقه في خدمات كثيرة ، حتى ما يجد وقتاً للصلاة ...

تصبح الخدمة كل شيء في نظره ، يعطيها كل وقته وكل جهده وكل قلبه ، حتى ما يجد وقتاً يتمتع فيه بالله ... تسأله أين صلاتك ؟ أين تأملاتك ؟ أين قراءاتك الروحية ؟ أين الساعات المقدسة التي تنسكب فيها أمام الله ، في حب ووخشوع ، تفتح له قلبك ، وتعطيه من حبك ، وتتمتع بحبه ... ؟ !

يقول لك أعذرى ، أنا مشغول ... تحضير الدروس ، وإيافة د .

والننادى ، والخدمة . رحلات . الصور والجوائز ، والندوات ، والأمور
المالية والإدارية . نعمة ، و انتبة ووسائل الإيضاح ... من أين
أجد وقتاً لكل هذا ، وكيف أجد وقتاً للملاحة ؟ وإن وجدت ، سيسرح
فكرى أثناء صلاتى فى كل هذا ... !

حسن أن يهتم الإنسان بالخدمة ، بكل نشاط وأمانة . ولكن ليس
حسناً أن تصير الخدمة بديلاً لله ...

إنها وسيلة روحية يعبر بها عن محبته لله ، ويحذب بها الآخرين إلى محبة
الله . ولكن لا يجوز مطلقاً أن تعده الخدمة عن الله . لا يجوز أن تتحول
الخدمة من وسيلة إلى هدف . وليس صالحاً للخدم أو للمخدومين أن
تجف روحياتهم فى مجال الخدمة ، عن طريق العمل المستمر الذى لا
وقتاً للصلاة والتأمل .

مرثا كانت تخدم الرب ، خادمة أبعدتها عن الجلوس عند قدمي
والإستمع إليه ، فقال لها الرب « أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور
كثيرة ، والحاجة إلى واحد » . والإبن الكبير كان يخدم أباه « سنوات هذا
عددها » ولكن فى مشغوليته لم تسمح له بعلاقات محبة وودعه مع الآب ،
فكنمه بأسوب غير لائق (لوقا : ١٥ : ٢٨-٣٠) .

وما أعجب أن تكثر أخطاء الإنسان داخل الخدمة ...

ليس فقط ، أن المشغولية فى الخدمة بعده عن الصلة المباشرة بالله فى
" صلاة والتأمل والحب ، وإنما ربما باسم « الغيرة المقدسة » بدأ الخادم
يرأى أن كل ما لا يروق له ... لا يعتبر زملاء ...

اقتلاعه من حقل الخدمة . وهكذا يشتم و يتشاجر و يعلو صوته ، و يدين غيره ، و يتهم الآخرين في قسوة وفي غير حب ... و يرى نفسه في كل ذلك بطلاً مدافعاً عن الحق ! وقد يقارن بين البر الذي فيه ، والخطأ الذي في غيره . كما فعل الفريسي مع العشار...

كل ذلك داخل الخدمة وداخل الكنيسة ... وتبحث أثناء ذلك عن علاقة الخادم بالله ، فلا تجدها . لقد فقد سلامه الداخلي ، وفقد عشرته مع الله . وفقد الحب . وفيما يحاول أن يقتنع ما يظنه زواناً ، صار هو مثل الزوان ... ! وصارت الخدمة هدفاً ، بدلاً من الله ، وفيها فقد نقاوة قلبه . والكتاب يقول « طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) .

الخدمة الحقيقية الروحية توصل إلى الله ، وليست بديلاً عنه ... لهذا إن وجدت الخدمة قد أبعدتك عن صلاتك وتأملاتك وخلوتك وعشرتك مع الله ، أو إن وجدت أنها قد أثرت على نقاوة قلبك . أو أفقدتك وداعتك وتواضعك ، إعرف أنها قد انحرفت عن الطريق ، أو أنها استغلت بذاتك عن الله وصارت هدفاً بدلاً منه ... ! واحترس منها . وحاول أن تصحح مسارك ...

إجلس إلى نفسك ، كما كان يفعل أرسانيوس ، وافحص نفسك ...

كان هذا الفديس العظيم يفحص نفسه باستمرار . ليعلم أين هو سائر . كذلك أنت أيضاً ، إهدأ إلى نفسك وافحص ذاتك ، ما هي

علاقتك مع الله ، وهل هو هدفك الحقيقي ؟ وافحص كل الوسائط الروحية التي تسلك فيها : هل هي تمربك إلى الله ؟ أم أنت تسلك فيها بطريقة روتينية سطحية بعيدة عن محبة الله ؟ وهل بعض هذه الوسائط صارت هدواً في ذاتها ، أو انحرفت في الطريق ؟!

وكما تحدثنا عن الخدمة ، نتحدث عن الصلاة والتأمل ...

قد تقف لتصلي . ولا يملك الشيطان من الصلاة ، بل براقبك أثناءها ليعطيك عنها بطريقة تناسب ذكاءه وحيله . فينتهر فرصة ورود تأمل روحي جميل لك أثناء الصلاة ، ويقول لك « ما أجمل هذا التأمل . لاشك أنه سيفيد الكثيرين إن سمعوه منك » . فإن أعجبتك الفكرة ، يكون قد انحدر بك من الإنشغال بالله إلى الإنشغال بالناس . وهنا يتقدم خطوة أخرى ، فيقول لك « كيف تضمن أن تحتفظ في ذاكرتك بهذا التأمل الجميل إلى نهاية الصلاة . خذ ورقة واكتبه حتى لا تنساه .

وهذا يكون قد أحدرك من الله إلى الناس ، ومن الصلاة إلى الخدمة ، ويعطل صلاتك بطريقة تقبلها ... !

فتترك صلاتك ، وتجلس لتكتب تأملاتك ! وقد تتكرر لعملية أكثر من مرة ! وتصبح التأملات بالنسبة إليك ، ليست تعبيراً عن مشاعرك نحو الله وعمق عواطفك من جهته ، إنما تصبح وسيلة لأجل الآخرين ، ويقف الله جانباً ...

ويكون الشيطان قد غير تقييم الأمور في نظرك !

يكون قد أقنعتك بأن تعطى الخدمة قيمة أكثر من الصلاة . و يكون قد نقلك إلى الإهتمام بالناس أكثر من محبة الله و يكون قد حطم قيمة الخشوع في الصلاة والتركيز فيها ، وجعلك تتركها لتجس وتكتب . وهكذا يشغلك عن الله بطريقة ما ... ! وشيئاً فشيئاً يغير تقييم الصلاة تماماً في نظرك ...

وربما يحاربك محاربة من نوع آخر في تأملاتك ، ويجعلها مجالاً للكبرياء والمجد الباطل ، بدلاً من خدمة الآخرين ومنفعتهم . وذلك بأن تقولها لا بروح الخدمة ، إنما بروح التباهي والافتخار . وإذا بالصلاة والتأمل ، قد استخدمها العدو لضررك ، ولإبعادك عن الله ، وإذا بالخدمة قد أعطائها مفهوماً آخر .

وقد يعطى العمل في فكرك قيمة أكثر من الصلاة !

يلهيك في أى نشاط يسميه « الخدمة » ، وقد يكون خالياً من أى نفع روحى . وبسبب هذا العمل يبعدك عن الصلاة ، أو يقول لك إن العمل صلاة ! أما صلواتك فلتكن في أى وقت ، وفي أى وضع ... وأنت سائر في الطريق ، أو وأنت جالس ، أو وأنت تتكلم مع الناس ، بدون الصلاة الخاشعة المركزة التى تشعر فيها فعلاً أنك واقف أمام الله ...

إنها محاربات من العدو ، حتى في الوسائط الروحية ...

أما أنت يا حبيب الله ، فلتكن متيقظاً . ويكن الله أمامك في كل حين . وليكن لك لإفراز الذى تفهم به حيل العدو . فتحتفظ بالله في قلبك على الدوام ، وليكن هو هدفك وقة إهتمامك .

واحترس من الخطايا المحببة ، التي تلبس ثوب الفضيلة ،
والتي تأتيك في ثياب الحملان ، غير كاشفة عن حقيقتها ...

[٥]

التدرج

إجعل الله هدفاً لك ، وتقدم نحوه خطوة خطوة ...

طبيعى أنك لا تستطيع أن تبدأ حياتك الروحية بالكمال ، وأن يكون الله هو الكل بالنسبة إليك . ولكن إبدأ بأن تعرف الله ، على أن تنمو في هذه المعرفة . وأن تحب الله ، وتنمو في هذا الحب . وتعطى الله من قلبك . وتنمو في الإعطاء وتفتح داخلك لله ليسكن فيه ، وتوسع مكان سكناه .

درب نفسك أن تترك باستمرار بعض ما تحبه لأجل الله ...

إلى أن يأتى الوقت الذى تستطيع فيه أن تترك كل شىء لأجله . خذ الصوم مثلاً : هل هو مجرد ترك طعام شهى لأجل الله ؟ كلا ، وإنما هذا الصوم هو تمهيد لأن تترك كل ما تشتهيه من أجل لرب . إنه فترة روحية ، تقوى فيها لروح على الجسد ، لتقترب إلى الله ، ويزداد إقترابها يوماً بعد يوم .

وكلما تقل محبتك للعالميات ، تزداد محبتك لله . المهم أنك لا تقف عند خطوة معينة ، وإنما تقدم باستمرار .

كن كالبذرة ، التى تصير شجرة ، ثم تنمو وتنمو ...

قال السيد الرب « هكذا ملكوت الله : كأن إنساناً يلقى البذار على الأرض ، و ينام و يقوم ليلاً ونهاراً ، والبذار يطلع و ينمو وهو لا يعلم كيف ، لأن الأرض من ذاتها تأتى بشمر ، أولاً نباتاً ، ثم سنبلاً ، ثم قمحاً ملائناً فى السنبلى » (مر ٤ : ٢٦-٢٨) .

هكذا طبيعة النمو : بذرة ، عشب ، نبات ، سنبل ، ثمر...
هات أية بذرة ، والقها في الأرض ، فإنها لا تتوقف عن النمو . وإن
صارت شجرة ، تظل الشجرة كل يوم تنمو ، بل كل ساعة وكل لحظة .
النمو هو طبيعة فيها ، سواء لاحظت أنت هذا يوماً أو لم تلاحظ . طبيعي
أنك إذا غبت فترة عنها ، وأتيت ستجد النمو واضحاً ... والشجرة لا تمل من
الصعود ، ولا تتوقف .

كن أنت مثل هذه الشجرة ، التي تطلع دائماً إلى فوق ، وتمتد يميناً
ويساراً . وتتدرج من بذرة تحت الأرض ، إلى نبات فوق الأرض ، إلى
كيان ينمو وعلو ويكبر ، وكمثال حبة الخردل التي تشبه بها الملكوت ...
هكذا أنت خذ درساً من الشجرة التي تنمو . خصص وقتاً لله ،
واجعل هذا الوقت يزيد بالتدريج . واعط من عاطفتك وحبك لله .
وجاهد أن يزيد هذا الحب يوماً بعد يوم ، وتظهر هذه الزيادة واضحة في
حياتك وعلاقتك بالله .

ولكن احذر... إن لم تستطع أن تنمو ، وتوقفت ...
احترس كل الإحتراس ، من أن ترجع إلى الوراء ...
وحينئذ يقول لك الرب : « عندى عليك ، أنك تركت محبتك الأولى »
(رؤ ٢ : ٤) .

إنها مأساة حقاً ، أن محبة الإنسان لله ، بدلاً من أن تزداد ، تتوقف ،
ثم تفتأ وتبرد ، ويرجع إلى الوراء ، ويشتهي يوماً من الأيام السابقة ، أيام
حرارة الروح ، فلا يجدها . ويصرخ قائلاً « ياليتني كما في الشهور

السالفة ، وكالأيام التي حفظني الله فيها ، حين أضاء سراجہ على رأسی ،
و بنوره سلكت فی الظلمة » (أى ۲۹ : ۲ ، ۳) .

إن كنت ترجع إلى الوراء ، فتى تصل أيها الأخ ؟ ومتى تصلين أيتها
الأخت ؟ والمشوار أمام كل منكما طويل ، والهدف ما يزال بعيداً .
لقد عرفت الله . هذا حسن جداً . لیتك تنمرفى المعرفة .

لكن لعلك تسأل : ما حدود هذا النمو ؟

إن شئت الصراحة ، لا حدود ...

أنت اصططلحت مع الله بالتوبة ، وكونت معه علاقة فى النقاوة ،
وسرت فى طريقه بالمحبة ، عاشرتة وصادقته وأحببته . وماذا بعد ؟ يقول
الرسول : « لیحل المسیح بالإیمان فى قلوبكم . وأنتم متأصلون ومتأسسون
فى المحبة ، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جمیع القديسين ، ما هو العرض
والطول والعمق والعلو ، وتعرفوا محبة المسیح الفائقة المعرفة ، لكى تمتثلوا
إلى كل ملء الله » (أف ۳ : ۱۹) .

« لكى تمتثلوا إلى كل ملء الله » ... ما أعجبها عبارة !

إننى أقف أمام هذه العبارة مذهولاً ، لا أعرف ... كلما حاولت أن
أغوص إلى أعماقها ، أجدھا أعمق من فهمى ومن إدراكى ... ! حقاً من
منا يستطيع أن يدرك « كل ملء الله » ... ؟ ومن منا يستطيع أن يقترب
من هذا الملء ... ؟ أو على الأقل ملء المحبة ، التى تربط الإنسان بالله ... ؟
أنتقل بكم إلى عبارة أخرى أخف ، هى قول الرسول :

« إمتلئوا بالروح » (أف ٥ : ١٨) ...

ليس فقط أن تكون لك علاقة بالروح ، أو خضوع و طاعة للروح ، أو أن يحل عليك الروح ، بل أن تمتلئ بالروح ... لا يخلو جزء منك من ملء الروح ، لا قلبك ، ولا فكرك ، ولا حواسك ... الروح يملأ كل ما فيك . ما أعظمها درجة ... !

فهل وصلت إلى الإمتلاء بالروح ؟ هل فرغت ذاتك من كل شيء آخر ، لكي يملأ الروح كل ما فيك ، فتحيا بالروح ، وبالروح تميت أعمال الجسد (رو ٨ : ١٣) ؟

أنظر إلى قول القديس يوحنا الرسول في سفر الرؤيا « كنت في الروح ، في يوم الرب » (رؤ ١ : ١٠) . ولأنه كان في الروح ، رأى السماء مفتوحة ، ورأى عرش الله ، ورأى السيد المسيح ووجهه كالشمس في قوتها ... كل ذلك ، لأنه كان في الروح ... إذن ما معنى عبارة « الإمتلاء بالروح » ؟ وكيف يصل الإنسان إليها ؟

إن لم تصل إليها ، لا تقف . سر نحوها ...

إعرف أنك إن كنت سائراً نحو هدف معين ، وقطعت نصف الطريق إليه أو ثلاثة أرباعه . فأنت لم تصل بعد إلى غايتك ، فيجب أن تكمل مسيرتك نحو هدفك ، بكل أمانة . يعزيك قول المرتل في المزمور الكبير « طوباهم الذين بلا عيب ، في الطريق » (مز ١١٩ : ١) .

باستمرار كن ماشياً في الطريق ، متقدماً فيه ، ولو خطوة خطوة . تقترب إليه اليوم أكثر من أمس ، وباكراً أكثر من اليوم ، وبعد باكراً أكثر

من باكر . وقل مع الرسول :

« ليس إني قد نلت أو صرت كاملاً ، لكنى أسعى لعل أدرك »

و يشرح ذلك بقوله « أيها الأخوة ، أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت . ولكنى أفعل شيئاً واحداً ، إذ أنا أنسى ما هو وراء ، وأمتد إلى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض ... » (فى ٣ : ١٢-١٤) . سر مع القديس بولس أيها الحبيب ، وامتد معه إلى قدام ...

كل يوم يمر عليك ، فليقربك إلى الله بالأكثر ...

فى نبوك الروحى ، وفى علاقتك بالله ، إجعل كل يوم يمر عليك ، يزيذك معرفة بالله ، ويزيدك حباً له ، والتصاقاً به ، وثباتاً فيه . ويزيدك خدمة له وبناء للكوته . وفيما أنت تقترب كل يوم إلى الله ، إحترس من المعطلات التى تقابلك فى الطريق .

إحترس من الأهداف الجانبية ، التى تعوقك عن الله ...

الله هو هدفك الوحيد ، وليس لك هدف آخر غيره . ولكن العدو إذ يريد أن يعطلك ، يقدم لك - فى مسيرتك الروحية - أهدافاً أخرى جانبية ، ربما تبدو سليمة أمامك . ولكن القصد منها هو تعطيلك عن التركيز فى الله ومحبه ... فاحترس منها .

صدقنى ، إن ملائكة الله فى السماء أو وهى « مرسله للخدمة لأجل العتيدى أن يرثوا الخلاص » (عب ١ : ١٤) ، هذه الملائكة تعجب جداً ، إذ تجدنا متمسكين بأمور تافهة ، جاعلين منها أهدافاً تعطل مسيرتنا نحو الله !

حقاً ، إن كل رغبة غير الله ، هي رغبة تافهة ، ولا يمكن أن تشبع القلب إشباعاً حقيقياً . وكما قال القديس أوغسطينوس ، مناجياً الله في اعترافاته :

« ستظل قلوبنا قلقة ، إلى أن تجد راحتها فيك »

إن الله إن رآنا بدلاً من الإمتداد إلى قدام ، في الطريق إليه ، قد توقفنا عند بعض الأهداف الجانبية ، فشغلتنا عنه ، ووهبناها من الوقت والجهد والصحة والعاطفة والاهتمام ، ما كان يجب أن نقدمه إليه هو ، الهدف الحقيقي وحده ... فإنه يقول لنا نفس العبارة التي قالها قديماً للشعب التائه في البرية :

« كفاكم قعوداً في هذا الجبل » (تث ١ : ٦)

إمتد إذن إلى قدام . ولا تسمح لأي شيء أن يعطلك في الطريق . كل محبة تشغلك عن محبة الله ، أو تحاول أن تحمل بدلاً من محبة الله في قلبك ، وكل رغبة أو شهوة تسبب لك فتوراً في روحياتك ، إقلعها والقها عنك ... واحتفظ بالله وحده في قلبك ، لا ينافسه شيء ، ولا ينافسه أحد ...

وليكن الرب معك ، يقويك وينميك ،

و يقود خطواتك إليه .

آمين